بيتر بروك

ترجمة : فاروق عبد القادر

نحن والولايات المتحدة



روايات الهلال

روايات الهلال

Rewayat Al-Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٢٦٦ ـ فبراير ١٩٧١ ـ ذو الحجة ١٣٩٠

No. 266 February 1971

رئيس مجلس الإدارة : **أحمد بهاء الدين**

رئيس التحرير : **رجاء النقاش**

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ فى سوريا ولبنان ١٢٥قرشا ، فى الاردن والعراق ١٣٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحادى البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر أنحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل او بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج٠ع٠م » ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

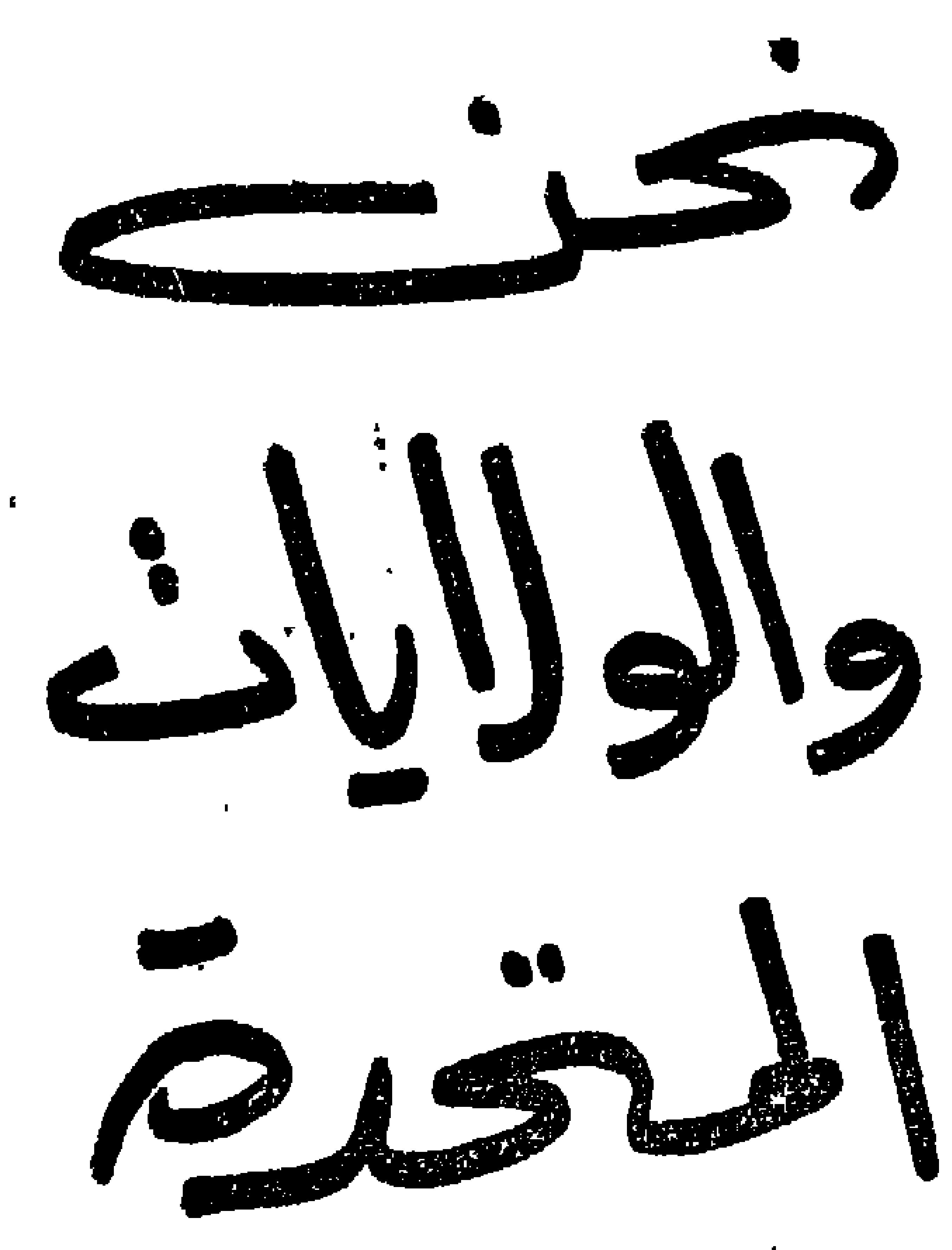
تليفون : ٢٠٦١٠ عشرة « خطوط »

صديق العمر والفكر والأحلام
المشتركة
وحب دائماً
تقديري الدائم
فاروق عبد الله
١٩٧١

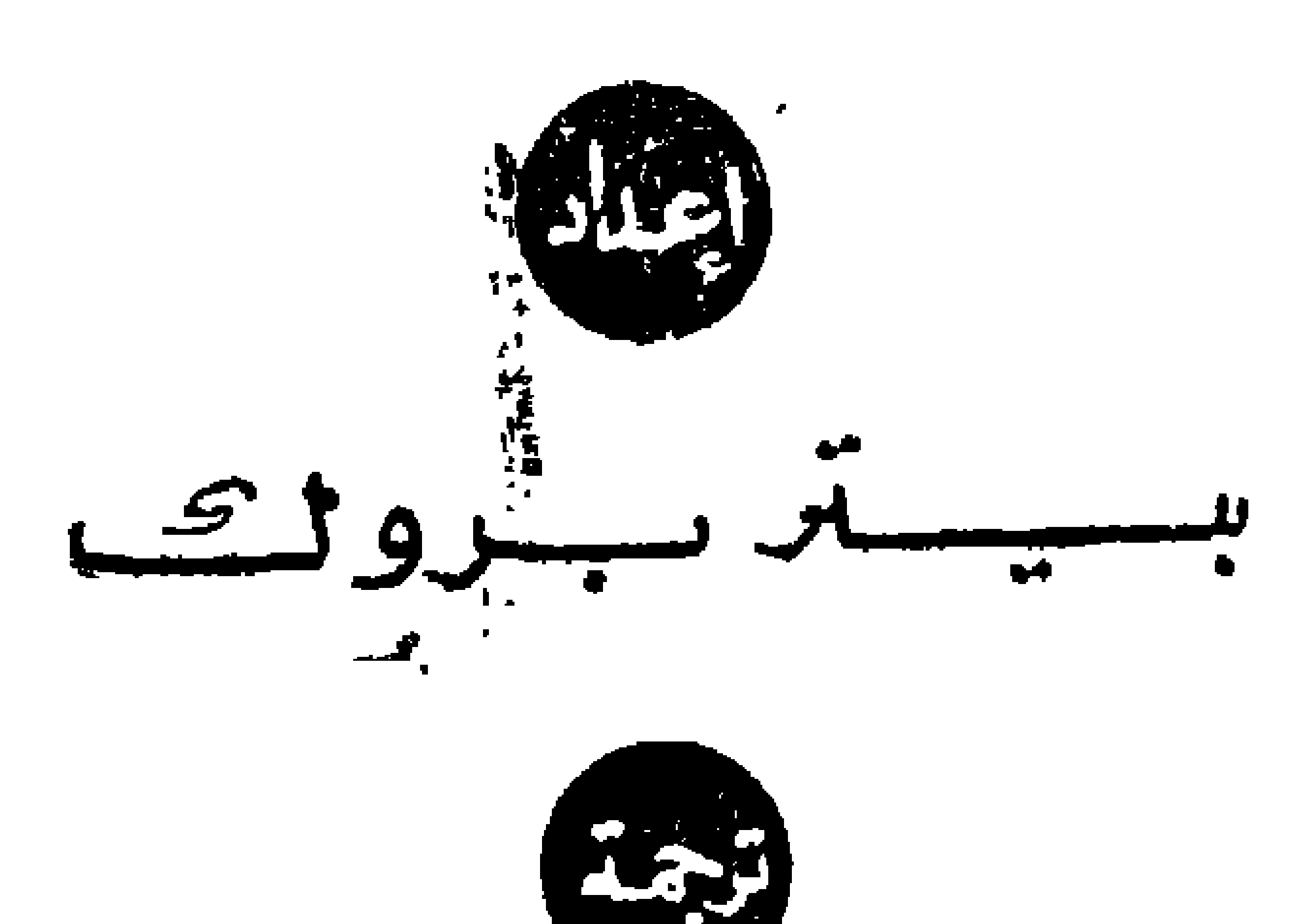
روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

الغلاف بريشة
الفنان هبة عنايت



((المسرحية التى أعدها وأخرجها
بيتر بروك واشترك فى اعـدادها
وأدائها أعضاء فرقة شكسبير الملكية))



فاروق عبد القـادر

دار الهـــلال

« ● اهداء الترجمة :

للدكتور على الراعى .. الصديق والاستاذ .

ف . ع . »

مقدمة المترجم

هذه التجربة المسرحية قادرة على أن تقدم نفسها . ثمرة ناضجة من ثمار التجارب الجديدة فى المسرح العالمى . فهى تتنـــاول واحدة من القضايا المعاشة والمعاصرة ، القضايا التى يقول عنها بيتر بروك انها أكثر ما يهم الممثلين والجمهور لحظة التقائهم ، دون أن تقف بينهـــم حوائل عمرها آلاف السنين من « الثقافة » المتراكمة والمعــــزولة والآمنة . ثم هى تجربة عمل جماعى . فالمؤلف المسرحى الذى يقعد كى يخلق العالم فى حجرة مسدلة الستائر ، والمخرج المسرحى الذى يمضى للبروفة الاولى وتحت ابطه تخطيط كامل للحركة واستخدام العناصر، والممثل المسرحى الذى لا يتجاوز دوره دور شريط تســـجيل نقى الاداء .. هذه الصور التقليدية لم تعد تقنع فنان المسرح اليوم .

فنان المسرح اليوم واقف فى قلب العصر ، عليه أن يناقش قضاياه ومشاكله وان يعبر عنها من خلال الدور الذى اختار ان يؤديه : ممثل هذا الجمهور ، يسبقه ويقوده ، طليعة مكتشفة لارض تدور فوقهـــا معركة هى معركة الجمهور نفسه . وفنان المسرح ـ كاتبا أو مخرجا أو ممثلا أو مؤلفا للموسيقى أو شاعرا ـ يصدر مع فريقه عن موقف واحد ، ويشاركه التزاما واحدا هو الكلمة النهائية التى يقولها العرض المسرحى .. يقولها بلغة المسرح لا بكلمات الكاتب .

وأهم ملامح تجربة US انها لا تتنازل عن الفن المسرحى من أجل توصيل مضمون معين . بيتر بروك فنان مسرح ، وحين يعبر عن فكره فمن خلال المسرح ، لا أى وسائط أخرى يمكنها أن تنقل الافكار ، وهو يقول بوضوح انه رفض ان يكون مسرحه « فيلما تسجيليا مما يعرضه التليفزيون ، أو قاعة محاضرات ، أو مجرد ناقلة أفكار .. » . والتعبير المسرحى هنا تجربة فريدة تقوم على جمع المختلط معا ، ووضع المختلف جنبا الى جنب حتى تحدث تلك « اللحظة » التى يبحث عنها بروك ، والتى يعتقد أنه قد اقتنصـــها فى لحظة الصـــمت التى تعقب نهاية

العرض • هذه اللحظة عنده هي ذروة الدراما ، هي لحظة التطهر ، لحظة يبلغ هذا النسق من المواجهة اعلاه، وتنبثق الشرارة الملتهبة عن القطبين المتقابلين بعد أن طال احتكاكهما •

فجوهر العلاقة التي يريدها بروك بين الجمهور والمسرح لا تكتفي بأن تجعل من المتفرج قاضيا ناقدا يستمع في أناة الى جوانب القضية المختلفة ثم يصدر حكمه بعد تأمل . والخطوة الثورية التي خطاها بريشت حين أخرج المتفرج من اغفاءته التقليدية ودفع به نحو موقف القاضي لم تعد اليوم تكفي الفنان المسرحي . كانت الاخطار التي يواجهها متفرج بريشت أخطارا يمكن الكشف عن طبيعتها وتحديدها تحديدا واضحا ، وكان ثمة وقت ممدود لمناقشة جوانبها• اما الآن••

فقد تعقدت الاخطار واشتبكت جذورها ، ولم يعد ثمة وقت لتأمل القضايا وتقليب جوانبها على نار هادئة ، عالم اليوم ذو ايقاع سريع وعاصف ومندفع ، وقد يحيق به الدمار وأنت ما زلت تقلب الامر على وجوهه . لا سبيل الا الفعل . أن تفعل . أن تشارك في تجربة المسرح .. وأن تحول العرض لواقعة حية ، توجهها وتؤثر في مجراها .

وتجربة اعداد US جديرة بالاهتمام والدراسة . سؤال واحد طرحه بيتر بروك في البداية : « اذا قلت أنك مهتم بما يجرى في فيتنام .. كيف يؤثر هذا على الطريقة التي تقضي بها يومك ؟ ..»، وللاجابة عنه تتابعت مراحل العمل على النحو الذى تسجله الروايتان المنشورتان مع نص العرض ، لاثنين من أعضاء الفريق • وواضح أن التجربة مستفيدة بروافد عديدة من تجارب المسرح العالمي : مستفيدة من تجارب جوون ليتلوود في التأليف الجماعي ، وتجارب المسرح الحي ومسرح الواقعة ، وتجارب جروتوفسكي ومعمله المسرحي ، وتجارب بيتر فايس ومسرحه التسجيلي •

لكن بروك كان يأخذ من هذا كله ما يحقق تصوره لمسرح «المواجهة» . المواجهة كما تجسدها مختلف صور الاختلاف والتناظر في مشاهد المؤتمر الصحفي ولعبة الدبلوماسية، والحوار الطويل الدائر بين جليندا ومارك في الفصل الثاني تقطعه نماذج اخرى من المواقف تجاه الحرب ، والاغنيات التي تقاطع الحوار فتناقض الكلمات حينا وتوازيها حينا وتعلق عليها حينا ثالثا • هذه المواجهة تتحقق كذلك في

النسق الذى ينتظم الوحدات الدرامية كلها ويتصاعد بها حتى « ينظر الجمهور وفيتنام كل فى وجه الاخر » .

كان بروك يتحرك داخل اطار يحدده اعتبار موضوعى هو أن هذا العرض سيقـدم على مسرح الاولدفيتش ولجمهوره . ليس المـكان بأفضل مكان ، وليس الجمهور بأفضل جمهور يمكن أن يتقبل مثل هذا اللون من العروض . هذا الاعتبار يضع تحفظا حول التجربة كلها — وغيرها من التجارب المسرحية المشابهة — حول امكان تقديمها فى مكان اخر لجمهور مختلف دون أن تفقد الكثير من سخونتها وقدرتها على التواصل . لكن شكسبير لم يكن ممكنا ان يظهر « الا فى وقت اتفق فيه المسرحيون على لغة مشتركة » ، والآن .. على العـرض المسرحى أن يصك لغته الخاصة ، وهذا يتفق وصورة المسرح التى يبحث عنها بروك ويراها معبرة عن روح العصر وفن المسرح معا : صورة تنفر من «النصوص» المكتوبة الخالدة وتعتقد — كما يعتقد أنتونين آرتو — أن النصوص التى تنتمى لعالم الكتب ثابتة ونهائية قد قتلت روح المسرح وجوهره . هى كذلك تنفر من الشخصية المرسومة والحبكة المحكمة وترجع للطقس — من حيث هو وحدة درامية كاملة — فتوظفه وتكسبه دلالة معاصرة . (والمثال الذى تقدمه هذه المسرحية يمكن تتبعه فى الرواية الاولى ثم ما بقى منه فى الصورة النهائية للعرض) .

وحتى تكتمل الصورة المسرحية التى يتصورها بروك استعان بجهود المسرحى البولندى جروتوفسكى وتجارب معمله المسرحى . من خلال تنمية نقاط الالتقاء والتوازى ، ومن خلال الاحترام والتقدير استطاع ممثلو الفريق أن يكتسبوا من جروتوفسكى الشىء الكثير : أن يواجهوا بصدق ذواتهم وحيلهم الخاصة ومحاولاتهم الهروبية وكليشيهاتهم وكل ما يدفع بالممثل للجمود والموات ، وأن يقيموا تلك الرابطة الوثيقة بين ما هو جسدى وما هو عقلى وما هو انفعالى فيهم . وجاء عملهم مع جروتوفسكى متسقا مع ذلك النسق العام للمواجهة : فبعد أن قضى الممثلون فترة طويلة يقرأون ويرتجلون عن فيتنام وصـورة الحيـاة الامريكية ويبذلون جهودا مضنية للوصول الى وحدات درامية كاملة من هذه القراءات والارتجالات ، جاء جروتوفسكى يأخذهم معـه للنقيض : الى حيث يطرحون العالم كله وراءهم ويغوصـون فى نقطـة

وحيدة دقيقة من وجودهم الانسانى محاولين أن يركزوا فيها ـ مثل بؤرة مضيئة ـ كل طاقاتهم المختزنة . وبعد ان اكتسب الممثلون تلك القدرة على الغوص بدأت سباحتهم من جديد .

حتى ليالى العرض الاولى ثمة وقت للتساؤلات . فبروك يعتقد أن الجمود على صورة واحدة للعمل المسرحى تم الوصول اليها دون وضعها دائما موضوع المساءلة يؤدى بالعرض لان يصبح شيئا ذا ملمس صقيل تشيع منه ريح باردة . الالتزام علاقة حية متجددة تتنفس كل صباح ، والتمثيل فعل يومى ، والاخراج عمل يتقدم ، والتجربة تطرح بامكانياتها التى لم تتحقق اكثر مما تطرح بحدودها التى تكتمل .

هذا نص للعرض . وهو بالتالى لا يكتسب حياته الا على المسرح ، لكنه نموذج لما يمكن أن يؤديه المسرح اليوم ، دون أن يتخلى عن لغته الخاصة ودون أن يقف عند حد الاقناع الفكرى الهادىء . ان بيتر بروك يثير من الاسئلة اكثر مما يضع من اجابات ، ولعل هذه التجربة تثير بعض الأسئلة فى حياتنا المسرحية المتعثرة ، الدائرة حول نفسها فى حلقات مفرغة .

فاروق عبد القادر

تقديم بيتر بروك

يصيبنى المسرح أحيانا بالغثيان ، وذلك حين تروعنى الصنعة فيه ، رغم يقينى فى اللحظة نفسها أن شكلية المسرح هى سبب قوته ، ويعزى ميلاد US الى احساس مجموعة منا بأن الحرب فى فيتنام تخلق موقفا أكثر قوة وحدة والحاحا مما استطاعت أى دراما نعرفها أن تعبر عنه . فكل المسرح الذى نعرفه أخفق فى أن يتناول القضايا التى تعنى الممثلين والجمهور اكثر ما تعنيهم لحظة لقائهم الفعلى ، لان هذا الافتراض ينتهك الذوق العام فالحروب القديمة بكلمات قديمة أكثر حياة من الحروب الدائرة اليوم ، وصــور البشـــاعة القديمة تكتسب لونا من التحضر فى راحة بعد العشاء .. اما صــور البشاعة التى تقع اليــوم فليست جديرة بالاهتمام •

وفى الحقيقة هناك سؤال واحد : ماهو المسرح الحى ؟ ليست لدينا اليوم اجابة هذا السؤال ، فكل ما نعرفه ليس هو ، وكل ما رأيناه لبس هو ، وكل ما تعلق عليه لافتة « المسرح » ليس هـــو ، وكل مايعرف بأنه مسرح يخطىء الهدف الحقيقى ، وكل ما وصـــل الينـــا ابتذله التعرف عليه ، وكل من يزعم بأنه يعرف ما هو المسرح أو ما يمكن ان يكونه لا يعرف شيئا بالفعل • نحن الان على أعتاب حقبة طويلة قادمة من الثورة الدائمة وعلينا فيها أن نبحث ، وأن نحاول البناء ، وأن نهدم ما بنيناه ، وأن نبحث من جديد •

وتجربة US لاتزعم لنفسها شيئا ، انما هى عمل يتقدم ، ونشرهذه التفاصيل عن عملنا ليس زعما بشىء ، انما هو تقرير عن هذا التقدم لمن يعنيهم الامر ، ولا يمكن استخدامه الا من حيث هو مرجع • فقد قام على جهد تجريبى معملى ، وهذه طريقة أخرى للقول بأن هـــذه التفاصيل قد قلبت أكثر من مرة فى سلسلة من المحاولات لان تجد حلا لمشكلة بعينها •

كانت المشكلة هى : كيف للاحداث الدائرة اليوم أن تدخل الى المسرح ؟ وراء المشكلة يكمن سؤال: لماذا يجب أن تدخل هذه الاحداث

الى المسرح ؟ ، رفضنا عدة اجابات : رفضنا أن يكون المسرح فيلما تسجيليا يعرضه التليفزيون ، ورفضنا أن يكون قاعة محاضرات ورفضنا أن يكون مركب دعاية • رفضناها جميعا لانه من الفيلم التليفزيوني حتى قاعة الدراسة مرورا بالصحف والملصقات والاغلفة كانت المهمة المطلوبة تؤدى من خلال وسائط ثم تطويعها لادائها ، ولم نكن مهتمين بمسرح الحقيقة •

نحن مهتمون بمسرح المواجهة . وبالنسبة للاحداث المعاصرة : أى شيء يواجه أى شيء ؟ •• من يواجه من ؟ عن قضية فيتنام يمكننا القول أنها تعنى كل فرد وهى رغم ذلك لا تعنى أى فرد • فاذا استطاع انسان أن يحمل فى عقله ــ فى يوم واحد ــ رعب فيتنام والحياة المألوفة التى يحياها فان التوتر بين هذين لن يكون محتملا على الاطلاق •• سألنا أنفسنا : هل يمكن اذن أن نضع أمام المشاهد ــ للحظة واحدة ــ هذا التناقض ، تناقضه هو وتناقض مجتمعه ؟ .. هل ثمة مواجهة درامية اكثر اكتمالا من هذه المواجهة ؟ هل ثمة تراجيديا أكثر حتما وأكثر اثارة للفزع ؟ .. كنا نريد من الممثلين أن يكشفوا كل جانب من جوانب التناقض حتى يستطيعوا فى النهـــاية ــ بدل أن يدينوا الجمهور أو يواسوه ــ أن يكونوا ماافترض فى الممثل دائما أن يكون : ممثل الجمهور الذى أعد ودرب كى يسبق المشاهد هابطا فى طريق يعرف المشاهد أنه طريقه هو •

استخدمت US حشدا من الوسائل الفنية المتناقضة لتغيير الاتجاه وتغيير المستويات . كانت تهدف لان تضع المختلف جنبا الى جنب ، غير أن هذه لم تكن الدراما ، كانت صورة من صور الغواية : أن تستخدم لغة معاصرة طريفة سريعة الزوال ، من أجل التودد الى المتفـــرج ومضايقته للمشاركة فى تحول موضوعات هى فى الاساس موضوعات تصده وتنفره •

لكن هذا كله كان اعدادا .. مثل كل المراحل الكثيرة التى تسبق قتل الثور فى حلبة المصارعة •• لم نكن نهدف الى القتل ولكن الى ما يسميه مصارعو الثيران لحظة الحقيقة .. ولحظة الحقيقة بالنسبة لنا هى لحظة الدراما كذلك ، اللحظة التى لا تأتى مرتين فى تراجيديا بأكملها ، المواجهة الواحدة والوحيدة .كانت هذه لحظة النهـــاية دائما .. حين يتوقف كل زعم بالتمثيل ، ويصمت الممثل والجمهور جميعا ، لحظة ينظرون هم وفيتنام كل فى وجه الآخر •

أكتب هذا التقديم عقب فراغي مباشرة من تقــديم عــرض مسرحية أوديب التى تبدو القطب المعاكس لتجربة US ، رغم ذلك فهاتان القطعتان المسرحيتان ترتبطان عندى على نحو وثيق وغريب : لا شيء مشترك بينهما فى المصطلح لكن الموضوع الرئيسى متطابق تقريبا هو النضال لتجنب مواجهة الحقيقة . فمهما كان الثمن يعمد الانســان دائما الى ترتيب كل الاشياء التى فى مقدوره من أجــل أن يتفــادى التعرف البسيط على الامور كما هى .

ما سر هذه الظاهرة الغريبة فى أصل طريقتنا فى الوجود ذاتها ؟

هل ثمة موضوع أكثر أهمية وحيــوية لفهمنا ، اليوم ، من هــذا الموضوع ؟.. وهل ينتمى لغز أوديب ــ حقا ــ الى الماضى ؟..

خرجت من التجربتين بتساؤل خاص يبدو انه ســيظل عندى طويلا دون جواب : حين تعرض المسرح لقضية معاصرة ملتهبة ومقلقة مثل قضية فيتنام لم يفشل فى بعث استجابات قوية ومباشرة . ويبدو هذا كسبا طيبا لاننا نريد لمسرحنا أن يكون قويا ومباشرا . ولكن : ما دام الزناد خفيفا على هذا النحو ، وما دامت القذيفة تنطلق بمثل هذه السرعة ، والاستجابة الاولى بمثل هذه القوة فليس من الممكن أن نمضى أعمق من ذلك ، فما أسرع ماتهبط المغاليق !

أوديب مسرحية رومانية تعرض فى المسرح القومى ، كل شيء مطمئن وكل الحواجز لدى الجمهور مرفوعة . فمئــات السنين من الثقافة الآمنة والمعزولة تجعل من أى « أوديب » تمرينا لا ضرر منه ولا خطر ، لا مقاومة اذن من جانب الجمهور وبوسع ممثلين مسلحين بنص بليغ أن يمضوا أعمق ما يمكنهم هابطين الى أرض المراوغة الانسانية، ويتبعهم الجمهور : هادئا وواثقا . فالثقافة تعويذة تحميهم من أى شيء يمكن أن يتطوح من الماضى ببذاءة ويقتحم حياتهم الخاصة .

يلمس الحدث المعاصر أعصابا عارية لكنه يخلق رفضــا فــوريا للاستماع . للاسطورة والعمل الشكلى الرسمى تأثيرهما .. لكنهما معزولان بنفس القدر .. أى الجانبين ــ فى حقيقة الامر ــ أكثر جدوى للمشاهد ؟ ..

أتمنى أن أعرف الاجابة .. ؟

بيتر بروك ... ابريل ١٩٦٨

الفصل الأول

دمية ضخمة لجندى فى ملابسه تتدلى فوق الخشبة ·
وسط الخشبة كومة من « النفايات » : صـــفائح بترول ومقاعد وصناديق وصحف وسلالم من الصلب وشظايا من طائرات مهشمة ·

يدخل كليفورد ويتناول لباسا أصفر من كومة النفايات· هنرى يدخل ويتناول صـــفيحة بترول أمريكية ، مارك يتناول صفيحة بترول انجليزيه ، روبرت يتناول صفيحة بترول أمريكية ، جليندا تحمل حبلا وثياب ومدام نهوـويج مايك يدخل ويقف وسط النفايات · يقفون متجمدين · يدخل بقية الممثلين ويقفون كذلك · كل الممثلين ـ عدا الستة الذين ذكرنا أسماءهم ـ يبدأون الغناء بصوت بالغ الخفوت ·

***

« أغنية : ايكاروس ، الذى حاول ان يطير ·· »

كل الممثلين: اذا لم تنفق أبدا أموالك
بقى لك دائما قدر من المال
اذا ظللت باردا لا تحترق
فلن تتحول ابدا لرماد
اذا بنيت بيتك من النفايات
عندئذ ستحب رائحة النفايات
واذا ظللت تزحف على الارض
فانك لن تتحطم أبدا
لماذا اذن · لماذا ·· لماذا ··
تحسب أنك تستطيع أن تطير ·· أن تطير ·· أن تطير··؟

مايــك : سايجون هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تتجمع فيها النفايات على نواصى الشوارع ، ويحترق فيها الانسان ٠

كليفورد : حدثت هناك اغتيالات كثيرة جعلت الناس يخافون ٠ انهم لا يرفعون أصواتهم ويفضلون الا يقولوا شيئا ٠ نحن نحرق أنفسنا لانها الطريقة الوحيدة التى يمكننا بها أن نتكلم ٠

**

كليفورد يتقدم للامام ، ثم يجلس ، يمثل هنرى بحركات صامتة انه يصب البترول عليه ٠ يتباطأ قليلا ٠ ينتظر ، ينحنى كليفورد ٠ هنرى يشعل الثقاب ويركع للصلاة ، كليفورد يحترق ٠ تقف فوقه جليندا ٠

**

جليندا : اذا لم تنفق أبدا أموالك
بقى لك دائما قدر من المال
واذا ظللت باردا لا تحترق
فلن تتحول ابدا لرماد
واذا بنيت بيتك من النفايات
عندئذ ستحب رائحة النفايات
واذا ظللت تزحف فوق الارض
فانك لن تتحطم ابدا
لماذا اذن ٠٠ لماذا ٠٠ لماذا ٠٠ ؟
تحسب أنك تستطيع ان تطير .. أن تطير .. ان تطير .؟

مارك : صدمتنى الحقيقة ذات نهار
من يومها أمشى على هذا النحو
ضع ساقى اذن فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

**

جليندا لبست الرداء ووضعت الباروكة ٠ تستدير ٠٠

**

جليندا : هؤلاء الذين يسمون انفسهم رهبانا ، ويحرقون أنفسهم ليسوا مخلصين حتى لتعاليم دينهم ٠٠ البوذيون الحقيقيون يحترمون الحياة حتى ان الواحد منهم لا يأكل اكثر مما

تأكل واحدة « الجمبرى » ونحن فى سايجون لدينا
الاسباب التى تبعث على الفخر بشوارعها النظيفة
وميادينها المنسقة • وصورة بلادنا التى نعرضها فى
الخارج يجب أن تكون جذابة للسياح ومشجعة للزوار
وباعثة على ابتهاج اصدقائنا الحقيقيين ولا شىء من هذا
كله يتحقق حين نسمح بتصدير الاخبار التى تصور
– بأدق التفاصيل واكثرها اثارة للاحتقار – هذا اللحم
الاصفر وهو يشوى فى بترول مستورد ! •

**

يتحرر الممثلون من الوضع المتجمد • تخلع جلينـدا
الباروكة وتذهب • يهب كليفورد واقفا ويطوح بردائه
الاصفر • يتحرك مارك ليجلس على مقعد على حافه الخشبة •
يدخل هوج فى خطا سريعه نشطه وهو يخبط نفيرا
نحاسيا ضخما ويصيح بالفيتنامية ويجر عربه محملة بأشياء
مختلفة • ثم يدخل روجرز كذلك يمثل فيتنام : راكعا شبه
عار ، يعزف الموسيقيون فى أماكنهم على حافة الخشبة •
يتجمع الممثلون حول عربة هوج كما لو كانوا جمهور
المشاهدين ، يخبط هوج بضع خبطات داعيا الى الصمت
ليعلن تاريخ فيتنام بالفيتنامية . سيعلن كل فقرة
بالفيتناميه وتتولى الفتيات التعليق فى مكبرات الصوت •
تاريخ فيتنام تمثله سلسلة من التابلوهات على العربة • هذا
التتابع تلونه وتفصل بين فقراته الموسيقى •

**

« تاريخ فيتنام »

بولين : تاريخ فيتنام • هانحن نرى مجموعة من التابلوهات
مرسومة كى تحفر فى ذاكرة شعبنا – الذى يدعونا سوء
تعليمه الى الخجل – تاريخ فيتنام •

تابلوه : الملك التنين والملكة الجنية

ميلاد فيتنام • جاء فى الاسطورة ان الملك التنين والملكة

الجنية التقيا ذات ليلة قبل آلاف السنين ، وكان لهما مائة طفل ، كل اصبع يرمز لعشرة اطفال ، لكن التنين والجنية اختلفا ، فانفصلا على غضب وتهديد عنيفين • صحب خمسون من الاطفال أمهم متراجعين نحو الجبال وصحب الخمسون الآخرون اباهم متجهين نحو البحر • وشعب فيتنام سليل هؤلاء الاخوة والاخوات المنقسمين •

**

يحيط بممثل فيتنام شخصان يضعان اقنعة خضراء ، أحدهما يلبس ثيابا حريرية زرقاء ، والثاني يمسك دمية تنين كاشف عن أسنانه •

**

جليندا : جغرافية فيتنام •ظلت فيتنام دائما محاطة باعداء أقوياء : الى الغرب لاوس وكمبوديا ، الى الجنوب والشرق بحر الصين الجنوبي يغص بالقراصنة والى الشمال جحافل الصينيين • اليوم يبلغ تعداد شعب فيتنام ٣٢ مليون نسمة يعيش ١٥٫٧ مليون في الشمال و ١٦٫٥ مليون فى الجنوب •

**

يحيط بممثل فيتنام أربعة مقنعون بأقنعة صفراء ، يدير كل منهم عصا فضية بيده حين تذكر ديانته •

**

ديانات فيتنام • أربع ديانات رئيسية فى فيتنام ، البوذية يدين بها عدد يتراوح بين ٧٠ ، ٨٠٪ من السكان ، والكونفوشية والتاوية والكاثوليكية • حوالى ٧٪ من السكان كاثوليك •

**

ممثل فيتنام يرقد على الارض على حين ينوشه التنين الصينى من قدمه ، وتضربه كل من بولين وأورسولا بعصا فضية •

**

خليندا : سنرى الآن حكاية من أجمل حكايات تاريخ فيتنام وأحفلها

بالبطولة . شقيقتان شابتان ترملتا بعد الغزو الصينى ـ فقادتا جيشا استطاع طرد الغـــزاة من بلادهما • اقامت مدام نهو تمثالا يخلد ذكرى هؤلاء المحاربين الابطال وسط حديقة فى سايجون •

مـارجى : تاريخ فيتنام دائرة متصلة الحلقات من الغزو والقمـــع والتمرد ثم الغزو من جديد ، فى سنة ١٢٨٣ كان المغول يحتلون فيتنام ، وعلى يد كل جندى فيتنامى وشم تقول كلماته : « سات ـ دات » أى أقتل المغول •

بـــادى : « يضرب الشخص المقنع » : اقتل المغول

**

باری ، مقنعا ، يضع أعلاما على كتفيه تضايقه جليندا بدمية تمثل حشرة (جندبا) ، يظل يتلوى ويميل للامام حتى ينكفىء على الارض •

**

أورسولا : مثل شعبى فيتنامى : فى معركة تدور بين حشرة وعربة ، من الذى يظـــن أن العـــربة ، لا الحشرة ، هى التى تتحطم ••• ؟

**

يتجمع كل الرجال ليشكلوا هرما فوق العربة ، ممثل فيتنام مسحوق فى القاع ، فى المنتصف •

**

بـــولين : قبل مجىء الفرنسيين كان البنـــــاء التقليدى للمجتمع الفيتنامى بناء هرميا : فى القمة الملك والزعماء الدينيون والمدنيون ، وفى القاعدة قوى وتجمعـــــات تكاد تكون مستقلة ، بين الملك والشعب جهاز من المتعلمين المعدين وفق التعاليم الكونفوشية ، ويجب ملاحظة أن هذا الهرم كان على جانب من الثبات النسبى لكن جوهره كان يقوم على التوتر •

**

يضطرب الهرم فيتحول الى كومة من الاجساد ، مارى فى لباس ذى ألوان ثلاثة تصعد قمة الكومة •

مارجى : بدأ الغــزو الفرنسى فى عام ١٨٥٨ · كان الفرنسـيون يحكمون وفق ثلاثة مبادىء : فرق كى تســود ، واعزل البلاد ، ثم تبعيتها الاقتصــادية · وفى ١٨٨٤ أعلنت فرنسا الحكم الاستعمارى ·

**

خلال المقطع التالى تتلوى الاجساد ويقبل بعضها البعض·

**

أورسولا : خرب الفرنسيون شعب فيتنـــام بأن قدموا اليه شرور الافيون والدعارة ·

مارجى : لكن العجلة تدور · وتاريخ القهر الفرنسى هــو بعينه تاريخ المقاومة الفيتنامية فى ١٩٣٠ قام تمــرد عنيف سحقته القوات والطائرات الفرنسـية · فى نفس السنة تكون الحزب الشيوعى فى الهند الصينية · وفى ١٩٤٥ اندفعت المقاومة السرية أخيرا فى ثورة أغسطس الظافرة تحت قيادة ، وحكمة ، الرئيس الاول لجمهــوريتنا ·· هوشى منه ·

**

يجمد الناس فوق العربة ، يتخذ بعضهم أوضـــاعا بطولية ، يقودهم بادى ، يغنون : « لاو ـ فو ـ هو شى منه » على حين تتقدم العربة نحو أعلى الخشبة · تلتقط الفتيات الاربع البنادق ويتقدمن بمكبرات الصــوت ·· موسيقى ·

**

جلينـدا : سافرنا هابطين مع النهر فى القوارب

أورسولا : ثم فى المراكب الصغيرة

بـولين : واخترنا طريقا قصيرا عبر الحقول التى تغمرها ميـــاه الفيضان ، وسرنا هابطين مع الطريق ·

مارجى : حين رأينا عربة يرتفع فوقها علم ، علم كبير أحمر تتوسطه نجمة صفراء

جلينـدا : كانت الاغانى تترامى الينا عبر مكبرات الصــــوت : « المحاربون الابطـــال » ·· « فلنسحق الفاشية » وبين

الاغانى كان يرتفع صوت يقول : « استولت قوات الثوار على هانوى فى الرابعة من بعد ظهر اليوم ·· استولت قوات الثوار على هانوى فى الرابعة من بعد ظهر اليوم » ·

أورسولا : وظلت سيارتنا تدلف خلال المدينة ، كانت تتجه نحو الجنوب ــ نحو سايجون ــ بسرعتها الكاملة على الطريق الاول ·

« أغنية : الطريق الاول »

الفتيات : الانهار والجسور ··
طول الاراضى وعرضها
سلاسل الجبال ، المدن الكبيرة والصغيرة
كل البلاد فى ايدى الشعب

جليندا : كان طريقا جميلا ، مستقيما ، تحف به الجبال والبحر ، وفى الليل كانت كل قرية على طول الطريق تضىء بآلاف الاضواء الصغيرة التى ترحب بنا ، وفى ضوء النهار كان الطريق يتحول الى نهر من الاعلام ··

أورسولا : لسنوات طويلة كنا نحبس أصواتنا ونخفضها ، لم نكن نرى شيئا فى البلاد غير تخلفها الثقيل ·· أما الآن ·· وللمرة الاولى استطعنا أن نطلق أصواتنا ملء حناجرنا ·

مارجى : أعتقد اننا كنا متعبين · كانت أجسادنا مرهقة ، لكن شيئا كالتيار الكهربى كان يسرى فى دمنا ، يسرى فى دم البلاد كلها ، يثير ذراتها المتفرقة ويدفعها الى الحركة · لقد فجر حزبنا تيار أغسطس الذى سرى فى دم البلاد ·

أورسولا : كنا نستطيع أن نصرخ بأعلى أصواتنا ··

الفتيات : الانهار والجسور
طول الاراضى وعرضها
سلاسل الجبال ، المدن الكبيرة والصغيرة
كل البلاد فى ايدى الشعب
فلنحرق كل أوراق آلامنا القديمة ·
لان أمتنا بدأت اليوم من جديد ·
كنا نصرخ ·· ونغنى ··

ونحن نمضى ..
عبر الطريق الاول .

بـــولين : وبعد أسبوع من مغادرة سيارتنا لهانوى وصلنا فيتنام الجنوبية . كان الليل متأخرا واتصل آلرفاق بسايجون لطلب التعليمات .

جليـنـدا : كانوا يهتفون لنا على طول الطريق ، وأخيرا لاحت أضواء سايجون ، وذهبنا لنقيم فى مبنى عظيم .. كان من قبل قصرا صيفيا للامبراطور .

**

يدخل كليفورد ، يحمل حقيبة صغيرة ، يجلس ..

**

كليفورد : كنا قد قررنا التنازل عن العرش ، وتسليم الحكم للحكومة الجمهورية الديمقراطية ولدى تنازلنـــا عن العرش كانت لنا ثلاث رغبات أعلناها :
أولا : أن تعنى الحكومة الجديدة بالمعابد والمقابر الملكية .
ثانيا : طلبنا الى الحكومة الجديدة ان تعامل كل الاحزاب والجماعات التى حاربت من اجل استقلال بلادنا معـــاملة أخوية ، حتى لو لم تكن تتبع تعليمات حـــركة التحـــرير الشعبية بدقة .
ثالثا : دعونا كل الاحزاب والجمـــاعات ، والاسرة المالكة ايضا ، الى التماسك والوقوف بصلابة الى جانب الحكومة الديمقراطية .
أما بالنسبة لنا ، فقد عرفنا خـــلال عشرين سنة من الحكم كثيرا من ألوان الالم والمرارة ، وبالتالى فسنكون سعداء بأن نعيش مواطنين عاديين فى بلد مستقل .
ولن نسمع لاحد بأن يسىء اســتغلال اسمنا أو اســـم عائلتنا الملكية كى يبـــذر بذور الشـــقاق بيننـــا وبين مواطنينا . عاشت فيتنام مستقلة . عاشت الجمهورية الديمقراطية

**

يخرج كليفورد وهو يحمل حقيبته

جليندا : أبرقنا للشمال : « أكتملت الثورة فى كل الاقاليم الواحد والعشرين .. » وردت هانوى : « احتفالات الاستقلال يوم ٢ سبتمبر » .. لن أنسى أبدا هذا التاريخ ٢ سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، يوم عيد ميلاد بلادى . كنت فى سايجون ـ قلب اقليمنا المحبوب نام بو ، وسط الملايين من أبناء شعبنا الذين وقفوا يصغون بقلوبهم وافئدتهم لصوت الوطن ينطلق من ميدان با ـ وينب فى هانوى ، وقرأ العم هو اعلان الاستقلال . . كان صوته دافئا وواضحا ورقيقا .. تماما كما سمعته منذ أعوام .. فى أعماق غابة باك ـ بو .

**

تعود العربة فتهبط من أعلى المسرح : علمان كبيران اصفران وراء بادى يمسكهما بادى ومورجان .

**

بادى : اعلان استقلال جمهورية فيتنام الديمقراطية ، فى الثانى من سبتمبر سنة ١٩٤٥ : « خلق كل الناس متساوين ، وقد وهبهم خالقهم حقوقا لا يمكن أن ينتزعها منهم أحد ، من هذه الحقوق الحياة والحرية والبحث عن السعادة ... » جاءت هذه العبارة الخالدة فى اعلان استقلال الولايات المتحدة الامريكية سنة ١٧٧٦ ، وهذا يعنى ـ على نحو شامل ـ ان لكل الناس حقا فى الحياة والسعادة والحرية

**

يهبط من العربة ويتقدم نحو الفتيات

**

تعالوا ستتناولن العشاء مع رئيس الجمهورية

**

فوق العربة ، يضع كل من بادى ومورجان الاعلام الصفراء جانبا ، ويخرجان المسدسات

**

ما أشد غرابة الحياة ! . حين كنت سجينا فى الصين كانوا يسمحون لى بخمس عشرة دقيقة فى الصباح

ومثلها فى المساء لنزهتى اليوميـة ، وحين كنت أقـوم بنزهتى فى ساحة السجن ، كان ثمة حارسان مسلحان يقفان فوق راسى بأسلحة مشرعة . والآن وانا رئيس جمهورية فيتنام ... كلما انتقلت الى مكان وجـدت حارسين مسلحين يقفان فوق راسى بأسلحة مشرعة .. آه .. تعالوا !

**

بادى ومورجان يجذبانه بعنف الى العـــربة ، وهمـــا يضعان مسدسيهما فى رقبته .

**

جليـنـدا : مزيدا من تاريخ فيتنام ..

**

يتجمع الممثلون مرة أخـــرى حول مقـــدمة المسرح ، يصعد ممثل فيتنام الى العربة ، يركع ، على حين يأتى هنرى وهو علما يابانيا ، وهوج وهو يلبس علم آتحاد الولايات الامريكية ويضعان بادى فوقه

**

أورسولا : جراسى . وافق الثلاثة الكبار فى بوتسدام على أن فيتنام يجب أن تبقى فى دائرة النفوذ البريطانى ، وارســـل جنرال انجليزى هو دوجلاس جراسى الى فيتنام كى يقر النظام والقانون . وتعاونت قوات جنرال جراسى الانجليزية والهندية مع اليابانيين لاعادة فرض الحكم الفرنسى فى سايجون .

**

تابلوه : اربعة يمثلون جنودا فرنسيين يتجمعون حول سلة ، وأمامهم جليندا كأنها من قوات المقاومة

**

بـولـين : حرب التحرير الثانية .. خلال حرب التحرير الثانية تطورت اساليب كثيرة فى حرب العصابات .. وها نحن نرى صورة تمثل مقتـل اربعة جنـود فرنسيين كانوا يعتقدون انهم يسلبون سلة مليئة بالفاكهة من هـذه الفتاة ، لكنهم اكتشفوا متأخرا أن ...

انفجار يمثله صوت طبلة . الممثلون الاربعة يمثلون الموت بحركات صامتة ..

فى الفقرة التالية يركع هنرى وهو يمسك علما فرنسية ومنديلا ابيض ، على حين يمشي فوقه بادى وهو يقود دراجته

**

جلينـدا : ديان ـ بيان ـ فو . معركة لا تنسى . استخدمت اعداد كبيرة من الدراجات المسلحة ـ من طراز بيجو ـ كى تحمل الارز والذخائر عبر مئات الاميال فى الغابات لتموين الفيت منه • وبعد ثلاثة أشهر من الحصار وخمسة وخمسين يوما من القتال ارتفع علم الفيت منه الاحمر ذو النجمة الصفراء فوق مقر قيادة الفرنسيين . فر ثلاثة وسبعون جنديا فرنسيا ؛ وقتل ألفان ، وبقى على قيد الحياة عدد قليل من العشرة آلاف الذين وقعوا فى الأسر .

**

ممثل فيتنام ممدد بين أربعة ممثلين ، يدهنون نصفه الاعلى فوق الخصر بلون ونصفه الاسفل بلون اخر

**

مـارجى : مؤتمر جنيف .. اتفق الفرنسيون والفيت منه على خط تقسيم اقليمى يوازى خط عرض ١٧ على أن تجرى انتخابات عامة خلال عامين

**

ممثل فيتنام يجذبه بادى نحو أحد الطرفين ويجذبه ليون نحو الطرف الاخر ، جمهور المشاهدين من الممثلين يشرعون فى الانقسام الى جماعتين مستقلتين . الفتيات الاربع ينقسمن الى فريقين

**

مـارجى : فى الشمال جمهورية فيتنام الديمقراطية يقودها

جلينـدا : هوشى منه

أورسولا : فى الجنوب دولة فيتنام المستقلة تحت رئاسة نجو ــ
بــولين : دينه ــ ديم .

**

ممثل فيتنام يتلوى ، على حين يرفع جون علما أصفر خلال الخطاب التالى

**

أورسولا : التجميع من جديد .. وفق اتفاقية جنيف مضى نحــو مليون لاجىء معظمهم من الكاثوليك نحو الجنوب يرفعون علما أصفر ذهبيا يرمز لتاج البابا المثلث ، ومفاتيح بطرس الرسول

**

بادى وماجى يتخذان أوضاعا تعبر عن الوداع الحميم ، على حين يتهيأ ليون لاختطاف مارجى ، ممثــل فيتنام يتلوى . الان بدأ جمهور الممثلين يهتف ويصيح مشاركا فى العبارات العدائية المتبادلة

**

جليـنــدا : الزواج . وفق اتفاقية جنيف هاجر حوالى ٩٠ ألفا من مقاتلى الفيت منه الى الشمال وتزوج آلاف منهــم قبــل الرحيل اعتقادا منهم بأنهم لن ينفصلوا عن نسـائهم أكثر من عامين على الاكثر

**

يتلوى جسد فيتنام على العربة ، على حين يتصايح فريقا الفتيات أحدهما فى وجه الاخر

**

بولــين : الاصلاح الزراعى فى الشمال . أعدم معظم ملاك الاراضى ووزعت الارض على الفلاحين ولســوء الحظ ارتكبت أخطاء كثيرة فادحة ، وصنف عدد كبير من الفلاحين على انهم من ملاك الاراضى . ويقدر عدد الابرياء الذين قتلوا ما بين ١٢ ، ١٥ ألفا

مــارجى : الديمقراطية فى الجنوب . وصف مستر واجنر ــ عمدة نيويورك ــ نجو دينه ديم بأنه واحد من أعظم السياسيين فى القرن العشرين ، ووصف حكومته بأنها « معجــزة

سياسية » ، ويقدر عدد الذين عذبوا فى حكم ديم بأربعمائة ألف ، وعدد الذين قتلوا بمائة وخمسين ألفا

**

يبدأ الممثلون فى الانتشار وهم يرشون الالوان على جسد فيتنام

**

أورسولا : بداية التسلل . بتدبير من المعتدين فى هانوى ، وضد اتفاقية جنيف ، بدأت عناصر كثيرة من المخربين تتسرب من الشمال الى دولة فيتنام المستقلة ، ولمواجهة هؤلاء أرسلت الولايات المتحدة الخبراء العسكريين الى الجنوب

**

الممثلون يلفون جسد فيتنام فى ورقة بيضاء يأخذونها من أرض العربة ويسندونه الى جانبها ، ثم يختفى

**

جليندا : مقاومة العدوان الامريكى . لم يستسلم شعب فيتنام لعدوان الامريكيين . فى ١٩٦٤ استطاع ٦٥ ألفا من القوات يساندهم مائة ألف من رجال العصابات غير النظاميين . و ١٠ آلاف متطوع من الشمال أن يحملوا راية المقاومة الى ضواحى سايجون نفسها

**

خلال الكلمات السابقة تبدأ الحرب تقريبا . فيتم تبادل الكلمات وسط الصراخ .

**

بولين : الدفاع عن العالم الحر . حكومة الولايات المتحدة لم تستسلم امام العدوان الشيوعى . والزيادة السريعة فى قوات الولايات المتحدة من ٤٠ ألفا فى مايو ١٩٦٥ الى ثلاثمائة ألف اليوم كانت عاملا رئيسيا فى صد هجوم الفيت كونج

**

يتقدم الممثلون بالورقة التى كان جسد فيتنام ملفوفا بها . ما زالت آثار الوان الجسد لاصقة بها ، يبدأ «فعل الدهان » . يمزقونها الى نصفين يتحرك الممثلون نحو

أعلى الخشبة ، ثم ينهمكون فى أداء الاعمال الصغيرة التى تعبر عن انشغالهم كقرويين فى فيتنام • بولين تترك وحدها ، بهدوء كامل تقول كلمات « بكائية زوجة الجندى » :

**

بولين : كان الماء صافيا ورائقا كالربيع ، يجرى تحت الجسر ة والطريق القريب تغطيه الاعشاب النضرة ، وأنا أتبعك بقلب مثقل يا زوجى وحبيبى ، كم تمنيت أن أكون الحصان الذى تركبه أو القارب الذى يحملك ، الماء يجرى ويجرى لكنه لا يستطيع أن يغسل دموعى ، والاعشاب يفوح عبيرها الحلو لكن العطر لا يذهب أسفى • مع رجع دقات الطبول يأتى الى اليأس كأمواج البحر فيأسر قلبى : الوداع .. الوداع يا زوجى وحبى •

تنطق شفتاى كلمات الوداع وتظل يداى بين يديك ، امضى معك واقدامى فى مكانها لا تتحرك ، تمنيت أن أكون نسمة المساء التى توشوش خلال الاغصان كى أتبعك واهمس فى منامك • لكن لا شىء يستبقيك يا زوجى وحبى .. لا عائلتك ولا زوجتك ولا طفلك • كروح الشر .. عيناك على النار ، تلقى بنفسك فى طريق العدو • • انت تخيفنى يا زوجى • ترتعش الريح حين تمر أنت • رداؤك أحمر كالشمس الطالعة وحصانك أبيض كالثلج •

وعيناى مغمضتان سمعت حصانك يرمح فى قلبى وصدى وقع حوافره يموت وسط دقات الطبول • المقاتلون • من تى – ليوالى ترانج – دونج ليس غير المقاتلين • ترحل معهم أصوات النايات وألوان الاعلام .. وأنت تمضى عبر المطر والريح يا زوجى وحبى • وأبقى وحيدة فى بيتنا فى الحجرة نفسها مع الحصيرة نفسها ، والحشية نفسها .

اندفعت السحب الزرقاء باكية فأخمدت الاوراق المتساقطة شهقاتها ، وهدأ السهل من أشجانها وبقيت الجبال جامدة كالصخر • ايتها الشمس .. أيها القمر .. أين زوجى وحبيبى ؟ أيها القمر .. اننى أخافك • ايتها

السحب .. انني أخافك . أخاف الطريق الطويل والنهر العميق .. أخاف شمس الصباح والاضواء التي تموت آخر النهار . فيضي يا دموعي فأغرقي وجهي وردائي . أبك يا عيوني في ليل الانتظار الطويل ، آه يا زوجي وحبي، كنت أظن انني ارتبطت بك كما ترتبط سمكة بالبحر .. وها أنت تؤخذ مني كما تنتزع الامطار من السحب

**

صمت ـ تجلس بولين . صمت ـ يقفز هوج فوق العربة ويشرع في ترديد أغنية لاو ـ فو ـ هوشي منه من جديد ـ ويؤدي الممثلون بحركات صامتة اعداد الفيت كونج لسلاحهم : ألواح مدببة وكرات ذات مسامير كأشواك القنفذ . ثمة أصوات تعبر عن حرب «عنيفة» دائرة وصدى أغنية ثورية هي أغنية « الديدان » ، ليون ومورجان وبادي وباري وايان وجون وكليفورد يتقدمون الى الامام نحو حاجز وضع في مقدمة الخشبة ، يتكئون عليه ويواجهون النظارة في صف واحد كما لو كانت تجري معهم مقابلة بلا تعبير على وجوههم أو أجسادهم

**

ايـــان : ماذا تفعل هنا أيها المقاتل ؟ ..

ليـــون : أنا كزنجي لا استطيع أن اقول ما اذا كنت مع الحرب أو ضدها . لا أستطيع أن أقول ما اذا كان يجب أن نكون هنا أو لا نكون . لكنني أقول : ما دمت هنا فانني لا أستطيع أن أغادرها

مورجان : انا لم أعد افكر في أن اصيح بالعدو هذه الصيحات التي تعني العداء والاحتقار .

ليـــون : ليست لدينا نعوت قذرة أو مشحونة بالكراهية نطلقها على العدو . نحن فقط نسميه « تشارلي » ونعرف انه موجود في الخارج .

مورجان : العدو موضوع احترام ينتزعه انتزاعا لصلابته اللعينة ، وهو بنفس القدر موضوع سخط وتقزز لتسببه في كل صور الفزع التي تحيق بشعبه

كليفورد : نعم .. أنا مواطن من فرجينيا ، معتدل ، لست خالص البياض ، أقود طائرة هليكوبتر لنقل القتلى والجرحى ، حدث أحيانا أن نقلت بعض أفراد العدو لكننى لا اجد الفرصة لافعل هذا كثيرا ، اننى أنظر لهؤلاء الاولاد صغار الحجم وأعرف أن لهم عائلات ينتابها القلق على مصيرهم ، تماما مثلنا ، لابد أن يكون فى صدورنا شىء من الرحمة تجاه العدو وبصرف النظر عما يفعله . انه مثالى بطريقة من الطرق ، تماما مثلنا ، لكن الشىء المؤسف ان لديه معلومات خاطئة عن الامور . اننى أقرأ الانجيل كل صباح وأكتب لزوجتى كل يوم ان استطعت، ولأننى لا أقر مبدأ التدخين فاننى آخذ نصيبى من السجائر ثم أمزقه وهذا يزعج الجنود الآخرين . هذه حرب قاسية ، قاسية على المشاعر . فنحن لا نستطيع أن ندخل القرى ونحاول أن نتخذ لنا أصدقاء من الاهالى كما كانت تفعل قواتنا فى كوريا . هنا علينا ان نحمى أنفسنا طول الوقت .. المحيط المعادى الذى يجب أن ندافع داخله عن أنفسنا يغرقنا من كل جانب .

جـون : انا أقول بصفتى واحدا من كبار القادة فى فيتنام ان هذه الحرب مثل لعبة القط والفأر . وهدفنا هو أن نقتل العدو ونوقع به أقصى خسارة ممكنة . ويمكننى أن أقول أيضا انه لم يحدث فى تاريخ الحروب من قبل أن كان على كبار القادة ان يتحركوا على هذا النحو ، فالشىء الجديد فى هذه الحرب هو استخدام الهليكوبتر ، وأيضا أن الغابة تبدو دائما كمحيط هائل الاتساع يمتلىء بوحوش القرش والغواصات .

مورجان : انا الآن فى الثامنة والثلاثين ، قضيت منها عشرين عاما فى خدمة الجيش .. والآن أريد أن أزوغ منه . «طظ». عشرون عاما ظللت أعتقد أن الجيش يمكن ان يكون مستقبلى ! أنا رجل ناضج ، متوسط القامة ، لى جسد صلب منسق ، وشعر قليل فى لون المحصول الذى سفته الرمال ، وعينان فى زرقة الثلج ، ووجه مورد لولا ندوب

صغيرة بيضاء أصابتنى من قنبلة يدوية رمانى بها صينى فى كوريا

جـــون : أحيانا يكون على الواحد منا أن يتخذ قــرارا باطلاق النار أو عدم اطلاقها على قرية أطلق رجالها النار على قواتنا .
على الشاويشية أن يتخذوا القرارات ، واتخاذ القرارات يتطلب دائما رجالا ناضجين .

مورجان : أنا ، ومعظم المحاربين القدامى هنا فى فيتنام نعتقد اعتقادا راسخا بأن هؤلاء الذين يقضون مددا قصيرة فى فيتنام لا يفعلون شيئا أكثر من الواجبات التى يؤديهـــا الفتيان فى فرق الكشافة

ايـــــان : أعرف أن على قضاء خمسة أشهر أخرى هنـــا ثم أعود لبلدى ، ربما لأواصل الدراسة التى قطعتها والتحقت بالجيش ضد نصيحة أبى . قلت لنفسى : سأكون أسوأ الاولاد فى هذا العالم ، لهذا التحقت بالقوات المنقولة جوا.
عندى قصة صغيرة حدثت فى بلدى وأحب أن أحكيهــا وأعرف أن كثيرين من زملائى - لا كلهم - يحبون أن يسمعوها . وهى تدور حول ما حدث لى حين كنت مع ١٢١ جنديا من القوات الجوية ننتظر فى مطار أوكلاند
الطائرة التى ستحملنـــا الى فيتنام . جاء رجـــل من المتظاهرين ضد هذه الحرب وبدأ يخطب فينا - حكايتى تستمر على هذا النحو ، جاء هذا المتظاهر حتى تقدم منا ثم نظر الينا مشفقا وقال : « أنا لا أحب لكم يا أولاد أن تذهبوا لفيتنام » ، وكلمات كهذه ، ظل يقولها ويرددها
.. وأخيرا : طاخ ! ضربه واحد من القوات الجوية فى وجهه .. آه يا رجل .. غطى الدم وجهه وثيابه كلها ،
وراحت امرأته العجوز تهـــرول هنا وهناك تستنجـــد بالبوليس ... ورفع الرجل منديله الغارق فى الدم وظل يردد الكلمه نفسها ، وكان الدم يغرق جسده كله ، فى
هذه اللحظة كانت دموعى تنفجر من عيونى ضحكا . وكل المدنيين الواقفين كانوا معنا وكانوا يتصايحون :«اضربوه

.. اضربوه .. » واخيرا ظهر رجال البوليس وسألوا « من ضرب هذا الرجل المعادى لحرب فيتنام ؟ » صاح ١٢٢ رجلا من القوات الجوية فى صوت واحد : « أنا ضربته ، أنا ضربته » . ولم يهتم رجال البوليس بمعرفة الفاعل . فى الحقيقة لم يبدوا أقل اهتمام . أما كانت حكاية !

بــارى : لى وجهة نظر هادئة حول هذا الانقسام فى بلدى . فهؤلاء الذين يعارضون الحرب ، وهؤلاء المعارضون لهم كذلك . كلا الجانبين يبدو لى شيئا متعفنا الى حد ما .. وأنا كمعظم الضباط المحترفين فى فيتنام كانت لى وجهة نظر مضللة فى الجوانب السياسية والاجتماعية لهذا الصراع، بالاضافة للجانب العسكرى بطبيعة الحال . وجهة نظرى الان تتلخص فى أننا نحارب قوما لهم قدرة خارقة على الصبر ، والامريكان يريدون نهاية الحرب الان .. ونحن لا نستطيــع أن تفــرغ من الامر بسرعة لاننا ببساطة لا نستطيع أن تحقق انتصارا عسكريا . هم ، الفيت كونج يذوبون فى الغابات ثم يعودون من ورائنا بعد أن نجلو نحن . يجب أن نترك وراءنا حكومة قوية ، وهذا مالم يفعله الفرنسيون .

بــارى : قطع هذه المناقشة رقيب ثقيل الظل من القوات الخاصة سمع ملاحظات الكابتن الاخيرة ولم يوافق عليها ، فصاح فيه : « يا الهى .. هذه البلاد كانت بحاجة لشيء واحد أن ينتخب بارى جولد ووتر رئيسا للجمهورية فى عام ١٩٦٤ ، أراهن بخمسمائة ق . (أعنى خمســمائة قرش) ان هذا لو حدث لكنت الان جالسا فى هانوى على رأس ثمانية من رجالى فى القوات الخاصة ، ولتدخل الصين . فلتحاول . كان بوسع بارى أن يقودنا الى بكين لو حاول الصينيون التدخل »

بــادى : سمعت ما قاله الرقيب حائرا ، ومصدوما بعض الشيء لكننى قلت أخيرا : « حتى لو انتخب جولد ووتر فستكون قاعدا حيث أنت الان » ..

يتجمد الجنود فى أضاع ثابتة ومتـوترة ، على حين يزحف بقية الممثلين ويتقدمون بترهل واسترخاء الى الامام يحملون ملصقات ضد الحرب ، الفتيات يداعبن الجنود .

أربعة سطور من أغنية « البيريه الاخضر » تذاع من مكبر الصوت ، وهى مسجلة بصوت الرقيب بارى سادلر:

« جنودنا المقاتلون الهابطون من السماء

الرجال الشجعان الذين يقفزون ويموتون
الرجال الذين يعنون ما يقولون ..
الشجعان ... ذوو البريهات الخضر » ..

يتقدم بوب ، شاحبا ، على عينيـه نظارة شمس ، يحمل بيده ميكروفونا يقف بهدوء أمام جنوده

**

بـوب : أشكرك أيها الرقيب بارى سادلر .. وطاب مساؤك .
لدى حكاية من بلادى أحب أن أحكيها ، وبعض رفاقى يودون أن يسمعوها . هى عن اخر يدعى بارى أيضا .
القصة الحقيقية لبارى بوندوس أو القمر الطـالع فوق منيسوتا

بـوب : مستر بوندوس
الذى يعيش الى جانب البحيرة الكبيرة
فى منيسوتا
ارتكب خطأ
حين انجب عشرة أبناء ..
عشرة أبناء : عشرة أبناء
ورباهم ليكون كل منهم مثل هنرى فوندا ..
مثال الناخب الديمقراطى .. كما تعرفون
لم يشتر أسلحة لابنائه ..
لماذا .. ؟
لانه لم يرد لهم أن يموتوا ..
أو يقتلوا .. هل كان هذا شيئا غريبا ؟ ..

نعم : أعتقد انه كذلك ..
لان هذا سيغير من كل شيء
في يوم أبلغه مكتب التجنيد :
مستر بوندوس ..
انت تستطيع أن تعطى الجيش ..
واحدا من أبنائك ..
واحدا فقط
كبـداية ....
قدم ابنك بارى ..
بارى .. بارى .. بارى بوندوس ..
ابنـك ...

***

مستر بوندوس
الذى يعيش الى جانب البحيرة الكبيرة ..
في منيسوتا
رجل مستقيم ...
واضح وشريف ..
لم يقدم مقطوعيته
نعم ـ وحق السماء
لست أنا الرجل الذى يبدد بذوره ..
انني بحاجة لبارى
واذا جندتموه
فلن يبقى لى ما أنتظر ..
سوى عشرة توابيت ملفوفة في العلم ..
قد أصبح الامر لعبة
«كيكا على العالى .. كيكا على الارض» ..
هل سيأخذ مكتب التجنيد
بارى بوندوس
لينضم للاولاد الذين ماتوا
الى جانب الله .. ؟
والبحيرة الكبيرة ..

ومنيسوتا ..
ومكتب التجنيد ؟ ..

***

بارى بوندوس
الذى يعيش قرب البحيرة الكبيرة
فى منيسوتا
يفكر ويتدبر ..

وهو يتجول
داخل مكتب التجنيد ..
يفكر لنفسه ويتدبر ..

فتح نصف دستة من الملفات
مليئة لآخرها
مكتظة لآخرها
بأميال وأميال

ورزم ورزم
من أوراق الحكومة
عن كل الشباب الذين يجب أن يرحلوا بعيدا ..

ثم راح يكوم ويكوم
يراكم ويراكم
حتى ملأ ـ كما تقول جريدة مينابوليس ـ ستار
حقيبتين لآخرهما بفضلات الانسان ..

تفوح رائحته المنتنة
كان بوندوس يفكر ..
خراء ...
لم يكن على عداء شخصى للرئيس ..

لكن عمله بدا
كعمل طفل واقعى ..

ألقى حمولته كلها فى المجارى
فتلوثت كل الملفات
الخاصة بمكتب التجنيد

والت ويتمان
تشارلى باركر
كلارنيس دارو
بن شاهبن
ويليام بوروس
الن جينسبرج
وودى جوثرى
جميس بولدوين
جوزيف هيللر
دكتور بنجامين سبوك
مارك توين
نعم : كل انبياء أمريكا الرائعين
كتبوا عبر سماء منيسوتا :
انظروا .. انظروا .. انظروا الى بارى بوندوس ..
هذا الرجل يستطيع ان يحلق فى السماء .

**

السطور السابقة من الشعر يرددها كل الممثلين ما عدا الجنود ، ثم حتى الجنود يبدأون فى الترديد معهم . يهربون تاركين بارى وبادى ومورجان وآقفين جامدين فى وضع انتباه . يرقصون بالالواح المدببة ، والقضبان ، وغيرها من أدوات الحرب ، وحين تنتهى الاغنية يجلس الرجال كما لو كانوا فى الجيش .

**

جـــادى : هذه مدرسة . جيش الولايات المتحدة هو أكبر نظام تعليمى مفرد ومركب فى العالم ، وأنتم هنا كى تتعلموا . يجب أن تواجهوا الحقيقة التى من المحتمل أن تكونوا قد رأيتموها مرة ثم تساءلتم عنها . لقد تعلمتم كيف تطلقون مدافعكم ، وتعلمتم كيف تقرأون خريطة ، والان عليكم أن تتعلموا كيف تتعاملون مع التساؤلات .

مورجان : سنثير التساؤلات عن الفيت كونج وأحوالهم . هذا يعنى أن بعضنا سيمثل انه من الفيت كونج ، والبعض الاخر يمثل انه من المسجونين . وما ستتعلمونه هنا قد يكون من أسباب انقاذ حياتكم

بـــارى : هيا .. فتحت المدرسة
الجميـع : واحد .. اثنين .. ثلاثة . واحد .. اثنين .. ثلاثة

**

يجلس الممثلون فى صفين يواجهان الامام

**

بـــارى : سنؤدى أولا تمرينا للتسخين .. هيا اهتفوا : اسـحقوا الفيت ـ كونج ..
الرجال : اسحقوا الفيت ـ كونج ..
بـــارى : اسحقوا الفيت ـ كونج ..
الرجال : اسحقوا الفيت ـ كونج ..
بـــارى : اسحقوا الفيت ـ كونج ..
الرجال : اسحقوا الفيت ـ كونج ..
بـــادى : النمور فى الطريق
الرجال : النمور فى الطريق
بـــادى : النمور فى الطريق
الرجال : النمور فى الطريق
بـــادى : النمور فى الطريق
الرجال : النمور فى الطريق
مورجان : من أنتم ؟
الرجال : نحن النمور
مورجان : من أنتم ؟
الرجال : نحن النمور
مورجان : من أنتم ؟
الرجال : نحن النمور

**

بارى وبادى ومورجان يخطون خطوة للامام وهـم يزمجرون ، بقية الرجال يرددون الزمجرة ، يأخذ القواد الثلاثة خطوتين للامام وهم يزمجرون من جديد ، يردد بقية الرجال زمجرتهم ، يدور الثلاثة حولهم .

**

بـــادى : والآن .. تفرقوا ..

الجميـــع : واحد .. اثنين .. ثلاثة .. هوب ، واحد .. اثنين . ثلاثة هوب

**

يتخذ الممثلون مواقعهم فى مجموعات من ثلاثة أفراد ، يقبض اثنان منهم على الثالث ويتهيآن لتعذيبه ، جماعة تضع رأسه تحت الماء ، وأخرى تضرب رأسه بالحائط ؛ والثالثة تنهال عليه بالركلات . يجلس بادى وبارى ومورجان على صناديق وسط هذا كله . مايك يجلس مواجها لهم

**

مايـــك : أيها الرجال .. هل لديكم تفرقة أخلاقية بين التعذيب الجسدى والنفسى ؟

بـــارى : لا وحق الجحيم .. ليست لدى تفرقة أخلاقية من أى نوع .. التعذيب هو التعذيب . وأنت حين تعربد فى عقل الانسان والمبرر الاساسى لوجوده فأنت توقع به الاذى بالفعل . خاصة اذا كان متهيئا تهيؤا عقليا وروحيا لتحمل التعذيب الجسدى .

بـــادى : انت اذا استطعت أن تكسره فسيصل الى النقطة التى يصحو فيها ذات صباح مشرق ليقول لك : « وهو كذلك » ، ثم يفضى اليك بأسماء رفاقه فى الخلية ، أو بمكان معسكره . فى هذه الحالة تكون قد دخلت فيه .. بالتعبير العملى . اما اذا كنت أنت نفسك مؤمنا بأى شىء ، فان عليـــك فى هذه الحالة أن تجعل لهذا الولد شيئـــا يأمل فيه ويبقى بانتظاره قبل أن تعيده لمزيد من العمليات . لأنك تكون قد وصلت بهذا الشخص الى أحط نقطة فى حياته .. بمعنى وجوده الانسانى نفســـه ، وذلك حين تؤكد له : « أن ما أبلغتنا به هو بداية تعاون ايجابى من جانبك ، لكننـــا لا نستطيع أن نضمك الى وحدتنا الان مباشرة .. فأنت ما زلت لا تعرف ما ندافع عنه ، لكننا نأمل أن تلتحق بنا فى يوم ما » ، من الحمق أن تتورط فى وعده بشىء ، لكن هذا يكفى .

مايـــك : كيف تستطيع أن تحتمى من التدمير .. انت نفسك ؟

بـــارى : بالعقيدة . عقيدتك تحميك ، عليك أن تعتقد باخلاص انك تساعد هذا الولد على المدى البعيد ٠

مايـــك : وبهذه الوسائل ٠٠ هل تظن لك الحق فى أن تنكر على انسان حقه فى العقيدة التى يعتنقها ، ولا تقبل منه الا البديل الذى تعرضه أنت ٠ ؟

مورجان : وقع بين أيدينا ولد فى اقليم خو ــ بن كان مسئول الدعاية لقوات جبهة التحرير فى الاقليم ، وأجهدنا انفسنا اربعة ايام كاملة معه كى يقول لنا عدة اشياء قليلة ، لكنه كان رائعا ٠٠ رائعا بحق ٠٠ لم يقل لنا كلمة واحدة ٠٠

مايـــك : هل أنت معجب به ؟ ٠٠

مورجان : رائع ٠٠٠ رائع ٠٠٠

مايـــك : هكذا .. فأنت تعجب بمن لا يوافقك بدل أن تعجب بمن يوافقك ؟ ..

مورجان : لا ، غير صحيح ، لم أقل هذا بالمرة . أنا أعجب بمن يدفعه التعذيب للاقرار . الولد الذى يعيد فحص النتائج التى سبق أن وصل اليها ويغير من فكره ٠ هذا من أعجب به٠

بـــارى : ثم .. ها أنت ترى .. اذا نحن لم نكسر هذا الولد ولم نحاول تغيير أفكاره فما جوهر الذى فعلناه ؟ لقد سلمنا بأنه على صواب ٠

مـــايـك : لا ،هذا غير صحيح،ففى المجتمع الديمقراطى .. على الفرد أن يقر الاختلاف ، تلك قضية مبدأ ..

بـــادى : كانت لى محادثات رائعة مع هؤلاء الاولاد . بدأنا بالاتفاق على الاختلاف ، لكنك بمجرد أن تمضى معه قليلا تجده مشوشا مضطربا ، يوافقك على ما تقول قبل أن يعرف انه يوافقك .. ربما كانت الافتراضات التى يبدأ منها معرضة للهجوم والانتقاد ؟

مايـــك : ليست هذه المسألة هنا .. المسألة هى انك ستحاول فرض ارادتك بهذه الوسيلة ..

بـــادى : لكننا لا نعرف بعد ما ارادتنا هذه !

مـــايك : ستحاول فرض أفكارك ..

بـــادى : أية أفكار ؟ ..

فترة صمت ، يندفع الممثلون فجأة نحو مواصلة التعذيب ، تبدأ جماعات التعذيب عملها . بادى وبارى ومورجان يقبضون علي مايك ويضربونه ويركلونه ، ثم يضعون فى رقبته طوق كلب ليجروه منه فى دورات حول مكانه .

**

بـــادى : أنت من الفيت ـ كونج .. تشارلي .. من الفيت كونج .. هه ؟ ..
مورجان : أنت من الفيت ـ كونج ؟ .. هه .. ؟ هل أنت منهم ؟.. من تظن نفسك ؟
بـــارى : أنت دودة حقيرة ..
مورجان : أنت دودة .. من تظن نفسك ؟ ..
بـــادى : انت حثالة قذرة ..

**

تبدأ الموسيقى ، ويبدأ مايك فى ضرب الثلاثة الذين يحاصرونه وركلهم ، مايك فى حالة جنون ، والثلاثة يستفزونه ، يعلق مورجان ميكروفونا في حزامه لكن مايك يجذبه فى سرعة .. تتخلل أصوات الصراخ المشهد من خلال مكبرات الصوت .. ينضم بقية الممثلين الى الكورس ويؤدون بحركات صامتة أعمال اطلاق النار والطعن بالسونكى على جماعة صغيرة من « الفيت كونج » ويرغمونهم على التراجع التدريجى هابطين الخشبة ، نحو الجمهور .

**

أغنية : « أصرع الفيت كونج »

مايــك : أجوب الدلتا كلها وأهزها
من الساحل حتى الساحل ..
أجعلهم يزحفون بحثا عن مأوى ..
أجعلهم يحترقون كالخبز المقدد ..
والرئيس قال لى :
هذا لن يستغرق وقتا طويلا ..

لكتنى اعرف اننى فى الجنة ..
ما دمت أصرع الفيت ـ كونج ..

الجميـع : أصرعوا الفيت كونج ..
أطردوهم الى الوراء .. الى حيث ينتمون ..
اخفوا مؤخراتكم الصفر
حين تسمعون أغنيتى .
فى طول الغابة وعرضها
وصعودا حتى ها يفونج ..
اصب سائلى اللزج المحرق
كى أصرع الفيت كونج ..

**

بين كل مقطع وآخر يتراجع مايك بعيدا عن الميكروفون يحيط به بارى وبادى ومورجان ، ثم يعود لينقض على الميكروفون . كى يؤدى المقطع التالى . يؤدى المقطع على نحو ما تؤدى اغنية شعبية . على حين يشكل الثلاثة وراءه جماعة مساندة من الراقصين والمغنين

**

كانت لدى قنبلة فى حزامى
وكنت أسميها ساندرادى
رأيت قرية تحتى ، فأسقطت قنبلتى
فوق حشد من الفيت كونج
وأنا اعتذر دائما
كلما أخطأت الهدف
وبعدها .. صعدت عموديا بطائرتى ..
لاننى لابد أن أعيش كى أصرع الفيت كونج .
حلمت مرة اننى التقيت بهوشى منه ..
لكتنى لن أكون سعيدا وأتهلل
الا حين أصرع بكين ..
وأنثر فوقها سائلى اللزج المحرق ..
وأنا أغنى اغنية سعيدة
لاننى سأبرم آسيا كلها ..
اذا أنا صرعت الفيت ـ كونج ..

الجميـــع : اصرعوا الفيت ــ كونج
طاردوهم الى الوراء .. الى حيث ينتمون
أخفوا مؤخراتكم الصفر ..
حين تسمعون أغنيتى
فى طول الغابة وعرضها ..
وصعودا حتى هايفونج
سأصب بترولى الملتهب ..
لاننى أنا :
أ ــ ألف ــ ص ــ صاد ــ ر ــ راء ــ ع ــ عين ..
يعنى :
الجميـــع : أصرع ..

**

الجميع يجلسون ، ويقرأون كتبا فكاهية ملونة ، على حين يزمجر ايان وينتفخ ، ويتخذ شكل وحش كوميدى شرير ، يحمل « بولين » ويصعد بها درجات السلم وسط كومة النفايات . يقف بوب وذراعاه للسماء ويعلن أنه « الرجل الصارع » ، ويصعد السلم من الناحية المقابلة ، ويقتل الوحش بشعاع قاتل غير مرئى ، يتعانق هو وبولين على قمة السلم ، يقذف الجميع بكتبهم الفكاهية على حين ينزلق ايان ميتا على درجات السلم ، جليندا وأورسولا ومارجى يجلسن القرفصاء فوق مايك الذى يتمدد مجهدا على البلاط ، يغنين فى الميكروفون المدلى من حزامه

**

الفتيات : حلمت مرة بالذهاب ..
مع هوشى منه
لكننى لن أكون سعيدة وأتهلل
الا حين أصرع بكين
وأنشر فوقها سائلى اللزج المحرق
وأنا أغنى أغنية سعيدة ..
لاننى أبرم آسيا كلها ..
حين أصرع الفيت ــ كونج ..
الجميـــع : اصرعوا الفيت كونج ..

طاردوهم الى المكان الذى منه جاءوا ..
أخفوا مؤخراتكم الصفر ..
حين تسمعون أغنيتى
فى طول الغابة وعرضها ..
صعودا حتى هايفونج القديمة ..
اصب سائلى اللزج المحرق
لاننى أصرع .. أصرع .. أصرع ..
لاننى ص ـ ا ـ ر ـ ع ـ ة .
أى : صارعه

**

يتجمد كل من بالمشهد . يقترب هنرى ليسأل هوج :

**

هنـرى : سبق أن قلت ان ماو ليس فى الحقيقة ما يظن نفسه عليه . هل هذا صحيح أيضا بالنسبة للرجال الذين يتبعونه ؟.. هل هم حقيقة كما يظنون أنفسهم ؟ وهل نعرف نحن مايظنون أنفسهم عليه ، وهل نعرف أنهم فى الحقيقة شيء آخر غير ما يظنون أنفسهم عليه ؟

هـوج : أنا كمؤرخ ـ لدى وجهة نظر متعصبة . فأنا لا أعتقد أننا حقيقة ما نظن أنفسنا عليه

هنـرى : كمؤرخ .. عليك أن تقول لنا ..

هـوج : أعتقد اننا نتصرف تحت ضغط سلسلة طويلة من احداث التاريخ ، ومؤثراتها الايديولوجية التاريخية فى عقولنا ، تمارس تأثيرها سواء كنا واعين بها أم لم نكن . ومن الصعب الى حد بعيد أن تكون واعيا بذاتك وعيا كاملا بحيث تفهم دائما لماذا فعلت ما فعلت ، ولماذا اخترت الطريقة التى اخترت ، ولماذا اعتقدت عقيدتك التى أنت عليها ، لننا أنسقتنا ولهم أنسقتهم .. وانا كمؤرخ متشائم اذا كان الامر يتعلق بالطبيعة الانسانية .

هنـرى : كسياسى .. أنا معك ..

**

مايك يطوف بالميكروفون ، ويقود الجميع فى كورس اخير .

الجميـع : اصرعوا الفيت كونج ..
إطردوهم الى المكان الذى ينتمون اليه ..
أخفوا مؤخراتكم الصفر ..
حين تسمعون أغنيتى
فى طول الغابة وعرضها ..
وصعودا حتى هايفونج القديمة ..
أصب سائلى الملتهب المحرق ..
لاننى أصرع ، أصرع ، أصرع ..

**

تكرر كلمة أصرع ٢٠ مرة ثم ينتهى ب أصرع الفيت كونج
ثم يتجمد كل فرد فى المشهد

يقترب هوج وروجر ومعهما الميكروفونات ..

**

روجـر : ماهى الحرب ؟ أيها المقاتل .. ؟
بـادى : الحيم ..
هـوج : ماهو الاشتباك .. أيها المقاتل ..؟
ليـون : الجحيم ..
روجـر : ماهو الالم .. أيها المقاتل ..؟
هنـرى : الجحيم ..
هـوج : ماهو الموت .. أيها الميجور .. ؟
كليفورد : الجحيم ..
مايـك : (فى الميكروفون) : ماهى الحرب .. ياجنرال ..؟

**

جون قاعد القرفصاء فوق قمة السلم يتناول الميكروفون
من مايك .

**

جـون : أن أجعل قوات الحكومة فى محيط طبيعى ، بحيث يصبح
الموقف كما لو كان على الثائر أن يواجه قطا بريا فى زقاق .
فليس من المناسب فى هذه الحالة أن نضع فى مواجهته كلبا
متوحشا ، فقد يفشل فى العثور على القط ، ومن الممكن
اذا عثر عليه أن يهرب منه القط فيتسلق شجرة عالية ،

وسيتلهى الكلب عند ذاك بمطاردة اناث القطط في الزقاق.
صحيح .. الاجابة هي ان أجعل في مقابله قطا بريا متوحشا ، هنا لن يفشل الاثنان في أن يتواجها . هما في نفس الموقف ، ولكل منهما نفس هدف الاخر في الحياة ، وهكذا لابد أن سيقضي القوى منهما على الضعيف

مايـــك : أشكرك يا جنرال ..

**

يهبط عدة درجات من السلم ..

**

التلخيص الوحيد الذى سمعته للحرب الفيتناميـة ، التلخيص الوحيد الذى يمكن أن يفهمه أى انسان في أى مكان وفي أى وقت هو ما ذكره لى اليـــوم ، وشخصيا : ضابط ذو رتبة كبيرة في لقاء تم بيني وبينه وجها لوجه « الحرب قتال يدور بين قطين بريين » هذا كل شيء ، لكنني ـــ وسط الظلام الذى يعم فيتنام اليوم ـــ ممتن لهذا الشعاع الهش ، الحاسم من ضوء النهار ..

**

يتحرك المثلون نحو حافة الخشبة ، بعضهـم يجلس وبعضهم يرقد وبعضهم يسترخي وهم يرقبون مايك الذى يترك وحده على الخشبة . يتناول شريط تسجيل . تتناثر على خشــــبة المسرح الكتب الكوميدية وأوراق الصحف

**

مايـــك : لماذا نضربهم بالقنابل كل يوم ؟ أعتقد أن السبب بسيط : اليأس البسيط . فبعض المراقبين داخل البعثة الامريكية هنا من القادة العســـكريين ورجال الاعلام يعتقدون أن الاستراتيجية الحالية لا يمكن لها أن تنتصر ، وهم يقولون أن الولايات المتحدة لا يمكن أن ترسل قوات كافية لاداء المهمة ، قد تكون افتراضاتهم خاطئة ، وربمـا اصبحت أغلبية الفيتناميين ليست معادية ولا صديقة . لكـــنهم سيكرهون الحرب ويتدفقون على مراكز الهجرة تجنبـا لها ، سيكونون مخدرين تماما ضد الاحساس بالالم والضياع

وقلة الحيلة ، اذا استطاعت الولايات المتحدة أن تقتل اثنين او ثلاثة فى مقابل كل فرد ينتمى للفيت كونج فقد تستطيع أن تهزم الشيوعيين ..

**

يتجول حول المكان ، يجلس أحيانا ، انه يبحث عن اتجاه ، يلتقط قصاصة صحيفة من الارض .

**

لقد قيل مرارا ـ وهذا صحيح ـ ان فيتنام ليس فيها فقط ٤٣ لونا مختلفا من ألوان الحرب ، بعدد أقاليمها بل فيها ٢٤٠ لونا مختلفا بعدد مناطقها ، فثمة لون مختلف من ألوان الحرب فى كل منطقة داخل الاقليم الواحد ، استطعت أن أعرف هذا .وانا فى مكانى خلال اقامتى فى ينه ـ دنه .. فى فو ـ هاى وهى قرية لصيد الاسماك ، تضم ثلاثة مزارع صغيرة ، قمت بزيارتها ..

**

يكور قصاصة الصحيفة ويلقيها آلى الارض ..

**

حين وصلت فيتنام للمرة الاولى كنت أعتقد أن الحرب لا يمكن كسبها لكنها تستحق المحاولة.. الان .. أصبحت أعتقد أحيانا أنها يمكن كسبها لكنها لا تستحق ثمن المحاولة . وفى أحيان أخرى ـ حين اكون اكثر راحة واكثر انصافا لنفسى ـ أجدنى مازلت قادرا على أن أستعيد التبريرات الرسمية واراها باعثة على الاقتناع . اذا كان عذاب الفلاح فى فيتنام سيجنب فلاح تايلاند أو لاوس أو الفيليبين أو الملايو حروبا فى المستقبل ـ ألايصبح عذابه هذا تضحية يطلبها العالم كله من الفيتناميين ؟ ثم ان امريكا لم تختر مكان المعركة على أى حال .. فابن عم هذا الفلاح فى الشمال هو الذى خط للفيتناميين فى الجنوب طريق التشويه والعذاب

ثم تأتى النقطة البسيطة ، العنيدة ، التى تجب كل اعتبار اخر :

لماذا يسمح لدولة ما أن تخضع دولة أخرى وتدمرها ؟
لماذا يسمح لهانوى بأن تستولى على فيتنام الجنوبية ؟
واذا لم تقم الولايات المتحدة بايقاف فيتنام الشمالية ، فأية دولة أخرى تستطيع ذلك ؟ مغيظا محنقا وأنا أشرب قهوتى أفكر فى تلك اللحظة بأننى مستعد للتضحية بكل شعب فيتنام الجنوبية من أجل مبادئى

**

صمت .. ينظر حوله

**

أنا أحب هذه البلاد .. أحبها

**

صمت

**

قلت لصحفى منذ عدة أيام : « قبل أن آتى الى فيتنام كنت أعتقد ان على الامريكيين ان يبقوا فيها ، الان وانا هنا أعتقد انهم يجب أن يرحلوا عنها »

قال لى الصحفى : « هذا شىء مدهش فقبل أن آتى الى هنا كنت أعتقد أن على الامريكيين أن يرحلوا ، أما الان وانا هنا فأعتقد انهم يجب أن يظلوا فيها » ..

انا مثل معظم الناس خارج الولايات المتحدة ، وعدد غير قليل منهم داخلها ، يسبب لى الامريكيون فزعا عظيما ، فقد أثاروا الزوابع فى العالم سنوات طويلة باحسانهم المرعب ونواياهم الطيبة التى ينفذونها تحت تهديد السلاح ، لكنهم يفزعوننى بشكل خاص لاننى كلما حاولت أن أستلب نفسى بعيدا عن كل شىء يقومون به على المستوى الدولى أجدنى أكثر انغماسا بينهم على المستوى الشخصى

سايجون هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تتكوم فيها النفايات على نواصى الطرقات ويحترق الانسان . الحرب فى فيتنام لا يقتصر دمارها على الناس والممتلكات والاتزان والعقل والمثل ، بل هى تدمر أيضا القدرة على الحكم . ثمة تعميم واحد صحيح يمكن اطلاقه على الموقف : الرخ مات . ففى فيتنام لا يمكن لقوة ولا لشخص ولا لحجة

أن تمضى الى نتيجة صلبة دون أن تتحطم فى الطريق .

**

يدير شريط الجهاز ، ويرجع الشريط للخلف ..

**

الشريط : سايجون هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تتكوم فيها النفايات على نواص الطرقات ويحترق الانسان ..

الشريط : فيتنام هى البلد التى يقوم فيها الفتية الطيبون بدور الاشرار ، والاشرار بدور الابطال ، والتى يعنى تحقيق السلم فيها حرق قرى بأكملها ، ويعنى التحرير فيها قتل معلمى المدارس ؛ وهى أيضا ــ بالمصادفة ــ المكان الذى يتحول فيه الجنرالات الى سياسيين ،والسياسيون الى جنرالات ، ماعدا أعضاء الكنيسة البوذية المتحدة ، التى هى ليست كنيسة وليست بوذية وليست متحدة . بعبارة أخرى : فيتنام هى حيث يتحول الحق الى باطل (معظم الوقت) ، ويبدو الباطل حقا بطريقة تثير اليأس والفزع

**

يقفل جهاز التسجيل

**

مايسك : وهكذا .. اذا أردت أن يكون لك رأى متماسك وواضح فى حرب فيتنام ، فيجب أن تظل بعيدا عنها ، فالحرب غير مبهجة لدرجة أنها تحرق كل الاحكام وما أشبه أخلاقياتها بتلك القصص التى يقول عنها النقاد ــ فى لحظات يأسهم ــ انها يمكن أن تفهم على عدة مستويات فى الوقت نفسه . وكل من هذه المستويات يناقض الاخر . هنا بالضبط تغير تفكيرى حين زرت فيتنام . فثمة نقطة تصل فيها التفاصيل درجة التراكم بحيث تغير من الكل

**

(صمت) ..

**

أما بالنسبة للصحفيين المساكين فقد كانوا كهؤلاء

الكلاب الذين يعذبهم بافلوف وكان يربط استجاباتهم المنعكسة بأن يجعلهم يتعلمون التمييز بين نغمة موسيقية مرتفعة كانت تعنى أن الطعام فى الطريق واخرى منخفضة تعنى أنهم سيصابون بصدمة كهربية . وشيئا فشيئا كان يقارب بين النغمتين حتى لا يمكن التمييز بينهما تقريبا . جنت الكلاب .. على ما أذكر ..

فالصحفيون المساكين فى فيتنام يجلسون فى دوائر كهؤلاء الكلاب ، وكل استجاباتهم الشرطية ملتوية ومختلطة ، فيحكى كل للاخر حكايات معتلة : « سايجون هى المدينة الوحيدة فى العالم التى تتجمع فيها القمامة على نواصى الشوارع ويحترق الانسان » ..

**

مارك يمسك عينه بيده ، ويبتسم مايك ابتسامة شاحبة .

**

مارك : اشم شيئا يحترق .. ارجو الا يكون عقلى هو الذى يحترق

انهم فقط يضعون عطر النعناع ، وينثرون عقود الاقحوان
احش انفى برائحة الثوم الخانقة
وأدهن عينى بطبقة من الزبد
وأملأ أذنى بأثقال الفضة
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

**

يحوم مايك للحظة كأنما يهم بالأجابة . تأتى الموسيقى عبر مكبرات الصوت . يدلف الممثلون وهم يحملون مقاعدهم ، يضعونها ثم يجلسون ، انهم يمثلون الصحفيين، يجلس بارى وبادى ومورجان ويواجهون الاخرين ، يحملون هم أيضا مقاعدهم ، وتوضع الميكروفونات أمامهم . انهم الناطقون الرسميون . المجموعتان متواجهتان وتتحدثان احداهما للاخرى حين يصفق مايك بيديه يتجمد جميع الممثلين حتى يحررهم بصفقة أخرى

مايـــك : فى الخامسة من بعد ظهر كل يوم ، ثمة طقس معـروف باسم الموجز العسكرى الامريكى ، وهو أحيانا يسمى لقاء الحمقى فى الخامسة ، ويحدث فى ســـينما ركس حيث تكييف الهواء جيد جدا ، أنت تجلس فى كرسى وثير جدا ، يتخللك الهواء البارد حتى النخاع . بعد أن اتيت من صيف سايجون الرطب الحار

**

فتاة تقوم بتسليم رزم كبيرة من الاوراق للصحفيين . .

**

اذا كنتم تعتقدون أن هؤلاء الصحفيين قادمون من أرض المعارك فدعونى أقل لكم انهم عائدون لتوهم من فنادقهم المكيفة بالهواء ، وهى ـ فى أغلب الحـــالات ـ تقع على الجانب الاخر للشارع ، هذه المائة باردة الساخنة هى الاحتكاك الحقيقى لمعظم هؤلاء بأهل البلاد . لكنهم يخلطون دائما بين الاثنين . عدد قليل جدا منهم هم الذين رأوا سايجون ، وعدد أقل هم الذين التقوا بالفيتناميين ، فيتنام بالنسبة لهم هى هذه الحجرة ، ومن هذه الحجرة تخرج ٩٠٪ من كل القصص والمقالات والافكار عن الحرب ، وأنت حين تقرأ عن فيتنام فى صحيفتـــك اليومية فان التقرير الذى تقرؤه قد خرج ـ غالبا ـ من هذه الحجرة ، بعد أن تم تصنيعه ، وتوليفه ، واعداده للاستهلاك الانسانى

هذا هو هارولد بروبيك ، ومهمته أن يتأكد من أن كل شىء فى الموجز العسكرى يسير على ما يرام ، وأهم شىء عنده أن يؤكد فكرة النجاح ، حتى يتأكد منها العـــالم وتتحقق الثقة ، وأنتم ـ الذين ستشهدون أخبار هـذا المساء ـ ستحسون بأن الحرب تديرها أيد قوية وقادرة

**

(ينهض بادى)

ينهض هارولد بروبيك ، وبأكثر الطرق رقة ونعومة فهذه الحجرة متسعة جدا ويقول :

بـــادى : طاب مساؤكم ..

***

مايك يجلس الى طرف من جماعة الصحفيين ..

***

بـــادى : سأبدأ فى الحقيقة بشىء له طابع تجارى : يفخـر العـون الامريكى بأن يعلن لكم أن ثمانية ملايين نسخة من كتب المراجع قد تم تصديرها اليوم الى فيتنام كجزء من برنامج العون المدنى الامريكى لاعادة تعليم شعب فيتنام الجنوبيه كى يأخذ مكانه فى النضال من أجل الديمقراطية والحرية
ومما يدعو للاسف انه حدث أثناء العمليات التى دارت اليوم فى منطقة الدلتا ان هاجم الفيت كونج جماعة من المدنيين الفيتناميين العاملين فى تطهير القنوات ، فسارعت فرقة من الجنود النظاميين لفيتنام الجنوبية لحمايتهم ، ورغم ذلك استطاع الفيت كونج التسلل الى معسكرهم فى منتصف الليل . وأيقظوا منهم مائتين ، وقالوا لهم : « هذا كى نلقنكم درسا » ، ثم اطلقوا النار على ٤٥ رجلا وامرأة وطفلا دون تمييز . تصريح آخر ، اننا نأسف أسفا عميقا لحقيقة أن راهبة بوذية تبلغ الرابعة والعشرين من عمرها ـ فى مدينة هيو ـ قطعت شرايين معصمها وحاولت أن تكتب بدمها رسالة للرئيس ليندون جونســـون تدين فيها السياسة الامريكية فى فيتنام ، اننا نأسف لكل عمل من هذا النوع ونأسى له ، لاننا نحس أنه لا يتفق على الاطلاق ـ مع نوع الحرب التى نحاول ان نكسبها ، ولا يتفق كذلك مع عقول وقلوب وأرواح شعب فيتنام . أى أسئلة، طيب .. الان أسلمكم النشرة اليومية .

***

بادى يجلس ، بارى ينهض

***

بـــارى : أرقام الامس : قتل مائتان وخمسون من الفيت كونج ..

هـسـوج : كولونيل : هل هذا الرقم نتيجة احصاء الجثث ، أو نتيجة تقدير أجهزة الجيش ؟

بـــارى : حسن يا سيدى ·· حتى الان ، هذا رقم تقديرى اكثر منه اعتمادا على احصاء الجثث ·

هـــوج . بيل : كم عدد جثث الفيت كونج التى تم احصاؤها فى عملية هاوثورن فى يومها الثالث ؟ ··

بـــارى : حسن يا سيدى ·· نحن الآن نعتمد على التقدير المبدئى ، والرقم هو حوالى مائتين وثلاثين ··

روجـــر : سيدى : منذ عامين كان رفاقك يقولون ان اقليم فوك ـ ين ـ هوى منطقة آمنة ، وأنت الآن تقول انـه يجب مواجهة المتسللين من الفيت كونج فى هذه المنطقة بالذات، كيف توفق يا سيدى بين هذين التصريحين ؟ ··

بـــارى : حسن يا سيدى ·· فى هذه اللحظة أنا لا أستطيع أن أؤكد السياسة الرسمية فيما يتعلق بالتصريحات الخاصة بأمن مناطق معينة وعدم أمن مناطق أخرى ، لكنى أستطيع أن أشير الى أن الموقف العسكرى ـ بشكل عام ـ يميل الى التغير من وقت لآخر ·

هـــوج : هل كان القتال فى منطقة هاوثورن يدور رجلا لرجل ؟··

بـــارى : رجلا لرجل ؟ ·· لقد كان يدور يدا ليد وعينا لعين ، كأعشاب جافة تطؤها أقدام فيل ·

**

يجلس ، يقف مورجان ، يصـــفق مايك ، يتجمد مورجان ··

**

مايـــك : الكولونيل «هوايت» ، غربى وسط ، طويل الوجه ، ذو عينين زرقاوين محترقتين ، عنيف فى عدائه للشيوعية ،ضد كل ما هو شاذ أو مريب ، ضد الشراب ، ضد التدخين·

**

يصفق مايك ، فتعود الحياة الى مورجان ··

**

مورجان : أنا مفوض لابلاغكم بأن وحدات القوات الجـــوية قد استخدمت عناصر جديدة تمـــاما فى مدفعيتها ، لم يتم

الاعلان عنها بعد لاعتبارات تتعلق بدواعى الامن •

ايـــان : كولونيل ••

**

مايك يصفق ••

**

مايـــك : مراسل ألمانى ، سوداوى المزاج ، ثمل تماما فى الخامسة من بعد ظهر كل يوم ، يعطى دائما الانطباع بأنه غير مفهوم ألماني حتى النخاع ، بطىء بطئا لا نهائى ، يسأل دائما أسئلة تنم عن ذوق سقيم •

ايـــان : هل تستطيع ان تقول لنا •• لماذا •• لاتقوم سـلطات الحكومة •• بارسال المزيد من الجازولين •• الى هيو •• حتى يمكن لمزيد من الرهبان البـــوذيين •• أن يحرقوا أنفسهم •• ؟

**

الجميع يستديرون فى دهشة ••

**

مورجان : بالامس كانت ثمة اربعمائة وسبعة وسبعون هجوما للخروج من الحصار من جانب مؤسسات النقـــل ، فقد ضربت الجسور فى كوانج ـ نانج ، وفينج ، تونج ، وسب ـ لك ـ وبلب ـ سك •

هـــوج : كولونيل •• كيف تتهجى بلب ـ سك ؟ هـــل تكتب بحرف الكاف أم القاف ؟ ••

مورجان : بالكاف ، الفيت كونج يبنون فى منطقة ال ـ زى ـ تو •• تم اعدام البناء قضاء وقدرا من جـــانب ســـلاح الطيران ، واستدعى هذا ضربهم بالنابالم والصـــواريخ وقنابل سى أ س ٥

ليـــون : أقول يا كولونيل •• قنابل الاوبئة المعدلة هذه •• هل تقتل اذا القيت بكميات كافية ؟

مورجان : الاجابة بالنفى يا سيدى • سى أس ٥ قد جربت فى معاملنا وثبت أنها تؤدى الى حالة غثيان مؤقت ،يستطيع الفرد ان يسترد وعيه الطبيعى بعـدها بأربعة أيام أو خمسة •

روجـــر : أتريد انك تقول لنا يا سيدى انه فى بانج ـ سانج قامت الطائرات من طراز ٥٥ب ، ٥٢ س ، باسقاط كذا مائة طن من القنابل ، وكذا مائة طن من النابالم ، وكذا مائة طن من قنابل سى آس ٥ ، دون ان تعـــرف ما اذا كان الفيت كونج هناك أم لم يكونوا ؟ ..

**

فترة صمت

**

مورجان : سآخذ مذكرة بملحوظتك هذه ، وأحاول أن أفحص الامر .
هنـــرى : كولونيل ..

**

مايك يصفق

**

مايـــك : جوى كلاين . يحمل ضمير امريكا الليبرالى على كتفيه ، وهو كذلك ايضا قاس على نفسه .

**

مايك يصفق

**

هنـــرى : ألم يتم قصف مدينة كان ـ ثو منذ وقت قريب ؟ .. أليس كذلك ؟
مورجان : حدث آن نيران الاسلحة الصغيرة قد أطلقت على دورياتنا الجوية المتقدمة فوق المدينة ، وأدى هـــذا الى قصف المدينة . الاجابة بالايجاب .
هنـــرى : هل تعنى أن أطلاق الاسلحة الصغيرة أدى برجال القوات الجوية الى افتراض وجـــود الفيت ـ كونج بالمـــدينة صحيح ؟ ..
مورجان : الاجابة بالايجاب .
هنـــرى : رغم ذلك فان المعلقين ورجال الصحافة وطبيب مستشفى المدينة اجمعوا كلهم على عدم وجود ضحية واحدة من بين الضحايا من الفيت كونج ـ هل هناك تعليق يا مايك ؟.
مورجان : لا تعليق .
هنـــرى : أكثر من مائة مدنى ما بين قتيل وجريح فى هذه الغارة ،

واذا عرفنا ان قوات الحكومة عاجزة عن حماية السكان ، فهل لدى هؤلاء أية وسائل يستطيعون بها مقاومة زيارة رجال الفيت كونج للمدينة ، واذا كان الامر كذلك ، هل يمكن أن نلومهم أو نعاقبهم ، لوجود رجال الفيت كونج بينهم ؟

مورجان : لا تعليق ٠

هنــرى : هل تستطيع أن تعطينا رأيك فيمـــا اذا كانت الميزات العسكرية التى حققتها هذه الغارة يمكن أن تكون مهمـــة للدرجة التى تعادل فيها التبعات السياسية والانسانية لقتل وجرح مائة انسان ؟

مورجان : لا تعليق ٠

هنــرى : كولونيل ، هل تستطيع القول بأن النظم العســكرية القائمة والتى تطلب الى قوات الولايات المتحدة اتخــاذ احتياطات معينة لتجنب احداث خسائر بين المدنيين ٠٠ هل تستطيع القول بأن هذه النظم تتبع بدقة ؟

مورجان : الاجابة بالايجاب : أستطيع ان أؤكد هذا ، كانت هنـاك قرية يسيطر عليها رجال الفيت ـ كونج ، ورفض القائد قصفها بالنابالم لان النساء والاطفال الابرياء سيصابون فى هذا القصف ، وكانت النتيجة أن استطاع قناصة الفيت ـ كونج قتل عشرين من رجاله قبل ان يستولوا على القرية ، بكل تأكيد ٠ أستطيع القول بأن هذه النظم تراعى بدقة ٠

**

يقف بادى

**

بــادى : تصريح للجنرال ويستمور لاند ٠٠ أنقله عنه بالنص : « قد تحدث بعض الكوارث كأن يقتل او يجرح مدنى برىء أو يتهدم مبنى ، هذا يحدث كثيراً ، لكننا حساسون جدا بازاء مثل هذه الحوادث ولا نريد المزيد منهـــا ، واذا حدثت كارثة كبيرة ـ عن طريق المصادفة او الخطأ ـ فاننا ندرسها بالتفصيل لنرى الدروس المستفادة منهـــا فى تحسين عملياتنا ووسائل الرقابة التى نمارسها وثمة مكتب

من ضباط عظام قد تشكل من أجل اعادة النظـر فى الاحتياطات التى تتخذ لتجنب القصف العارض وقتـل المدنيين . » أسئلة اخرى ؟ ..

هنـرى : لا ..

مايـك : حتى جوى كلاين قد همد ايضا ..

بـادى : أو .. كى . انتهى الاجتماع ..

**

يبدأ الصحفيون فى القيام .. يصفق مايك ..

**

مايـك : كان يوما طيبا ، لم تستغرق الجلسة أكثـر من ثلاثين دقيقة ، وهى تستغرق فى العادة حوالى ٤٥ دقيقة ، ما عدا يوم السبت وهو أفضل الايام ، الجلسة فيها لا تتجاوز ١٥ دقيقة .

**

يصفق فيبدأ الجميع فى الحركة ، ثم يصفق مرة أخرى فيتجمدون ..

**

هـوج : قل يا هارولد .. ما الذى حدث بالفعل فى هاوثورن ، لليوم الثالث ؟

بـادى : طيب .. نحن لا نعرف على وجه اليقين بعد ، لكننا نعتقد أننا أوقعنا ضررا بليغا بشخص ما .

**

يصفق مايك ، فيتحركون ، ثم يصفق ثانية فيتجمدون .

**

روجـر : هل تستطيع ان تقول لنا لماذا تصر على رفض التصريح بتقدير الخسائر بين المدنيين ؟ ..

بـادى : أنت تنظر فلا ترى سوى هذه الحرب ياروجر .. ان عدد من يقتلون هنا من جميع الفئات كل يوم أقل من ضحايا حوادث الطرق فى الولايات المتحدة .

ايـان : مازال مخمورا : هل يمكن أن أقدم اقتراحا ؟ .. أن أسرع

طريقة للخلاص من كل الشيوعيين •• في آسيا •• هي أن تسقطوا لهم سيارات الكاديلاك بالباراشوت ••

**

بادي وروجر ينظر أحدهما للاخر ، يبدأ الممثلون في تكوين نصف دائرة على الخشبة •
صرخة امرأة ، بوب يتقدم خطوة للامام ويؤدي بحركات صامتة أنه يصب البترول على نفسه من صفيحة أمريكية ، بوب يؤدي احتراقه بحركات صامتة ، فمه يظل مفتوحا ويداه على عينيه ، يتلوى ، ثم يتمدد على الارض ، فترة صمت •
بعد أن تهمد حركته ، الكلمات التالية تأتي في مكبرات الصوت

**

الـراديو : نورمان موريسون ، واحد من الصحاب (١) ، في الثانية والثلاثين أشعل النار في نفسه على عتبة البنتاجون في واشنطن الليلة الماضية ، وصفه أحد العابرين بأنه كان يضيء كشعلة بشرية ، وكان المشهد ـ كما يقول رجال البوليس ـ يشبه المشاهد التي تحدث في سايجون ، حين يحرق رهبان البوذيين أنفسهم في الشوارع للتعبير عن احتجاجهم ، وقد سارع بعض المشاهدين لمحاولة اخماد اللهب ، لكن موريسون مات في الطريق الى المستشفى ، على بعد شارعين فقط •

---

(١) جماعة دينية تعرف باسم « المهتزين Quackers » أو جماعات الصحاب Friends Societies • وهي جماعة دينية مسيحية ينتشر أفرادها في أنحاء العالم لكن معظمهم في الولايات المتحدة وانجلترا • بدأت منذ القرن السابع عشر ، وأهم معتنقاتها تتركز حول الاعتقاد بأن الله يتكشف في قلوب الرجال والنساء دون تمييز ، ويشيرون لهذه التجربة الروحية باسم « ضوء المسيح » ، والروح عندهم سابقة على نصوص الانجيل ، واشراقة النور قبل كل شيء • وبالنظر لاعتقادهم أن الله يتحدث الى الناس مباشرة فهم ينظمون عباداتهم على شكل اجتماعات صامتة ـ او تصاحبها الاغاني ـ للصلاة • وهم على المستوى الديني يرفضون أداء الطقوس على النحو الذي تؤدى به (مثل التعميد والتناول والاحتفال بميلاد المسيح) • وعلى المستوى الاجتماعي يؤيدون كل (صلاح من شأنه أن يتيح للفرد التعبير الحر عن نور المسيح في داخله ، ومن ثم يقفون ضد الحروب ويطالبون بالسلام ، وقد حصلت جماعات الصحاب في الولايات المتحدة وانجلترا على جائزة نوبل في السلام سنة ١٩٤٧ • (المترجم)

يظل بوب راقدا طوال المشهد التالى ، يظل الممثلون يتكلمون فى هدوء وهم جالسون فى النصف دائرة كأنهم فى أحد اجتماعات الصحاب •

**

روجـر : نحن نجتمع اليوم فى ذكرى نورمان موريسون • الذى عرفه معظمنا معرفة شخصية وزوجته اليوم هنا معنا وأنا أقول هذه الكلمات لهؤلاء الذين لم يعـرفوه : لم يكن نورمان متعصبا ، ولا شاذا غريب الاطوار ، ولا من «فاعلى الخير» المتجهمين هؤلاء ، كان سعيدا بزواجه وأطفـاله الثلاثة ، كان يحب الناس ، وكانت يداه يدا صانع ماهر ، فكان يفضل أن يصلح شيئا قديما على أن يشترى شيئا جديدا ، وكان مبتهجا بقدرته على أن يحيا على القليل ورغم ذلك فقد كان يستمتع بكل تلك الاشياء الصغيرة التى نراها عادية مألوفة ، لم يكن قديسا ورعا يبحث عن لون من ألوان الطهارة الدينية •

جـــون . كان نورمان يعرف أنه حين يرسى شعب من الشعوب آماله فى الطمأنينة على تفوقه التكنولوجى الذى يتيح له قتل عشرات الالوف من أعدائه غير المقاتلين • من نســـائهم واطفالهم ، فان هذا المجتمع ، يكون فى هذه اللحظة ، قد وصل الى مرحلة من الانحطاط الخلقى تنكر عليه هو نفسه أى حق فى الحرية ، فى داخله •

ايـــان : كان الحب عند نورمان حتما مطلقا • كان راديكاليا يتمنى مجتمعا يتحول عن طريق الحب ،ورغم أن الحب قد أصبح مفهوما رثا يلوكه الرجال الناضجون فى حديثهم ، الا انه ما زال يحمل فكرة ثورية ، ربما اكثر الافكار الثورية صدقا للجنس الانسانى ••

ليـــون : بالنسبة لمعظمنا ، فان شكة دبوس فى طرف اصبع تبدو أكثر واقعية من هؤلاء الناس الذين تقصفهم قنـــابل الطائرات فى غابات مجهولة الاسم ، لكن نورمان استطاع أن يتصور •• وأن يتوحد وكان أكثر ما أثاره يـــوم تضحيته تقريرا قرأه ، جاءت به كلمـــات قس كاثوليكى

في قرية موالية للحكومة في فيتنام ٠
كان القس يقول : « لقد رأيت ايماني يحترق وسـط النابالم ، رأيت قريتي تمحق وتسوى بالارض ، يا الهي ٠٠ ليس هذا ممكنا ٠٠ لابد أن يسووا حسابهم مع الله»٠

هنـري : في مجتمع يعتبر من المألوف والعادى ان تسقط القنابل على الاهداف الانسانية ، في مجتمع يعتبر من العـادي والمألوف ان ينفق ٥٠٪ من الضرائب التى يدفعها الافراد على الحرب ، في مجتمع يرى من المألوف والعادى أن تقدم دمى تمثل معدات الحرب للاطفال في أعياد الميلاد ، في مجتمع يرى من العادى والمألوف أن تتضاعف قدرته على القتل اثنتي عشرة مرة ونصفا ، في مجتمع كهذا لم يكن نورمان موريسون عاديا ولا مألوفا ، قال : « فلنوقف هذا اذن ، فلنقدم شهاداتنا الشخصية ضد ما هو عادى ومألوف فلنكن شواذ كما كان يسوع وغاندى شواذ ٠٠ »

مـاري : كان نورمان ينزعج دائما لأن معظم النـاس لا يتجهون بالتزامهم الرئيسى الا لاسرهم ٠٠ انه لم يكن يقوم بالتفرقة المعتادة بيني واطفالى وبين بقية الناس وهذا الصباح بعد ان قرأ التفاصيل عن الاطفال في قرية هذا القس تساءل : « حتى متى يستمر هذا كله ؟ » قلت له اننا لا يجب أن نيأس ، يجب أن نواصل البحث عن الوسائل التى تؤدى للسلام ، لابد انه كان يفكر في هذا العمل الاخير وقتذاك ولابد أننى كنت أبدو له بعيدة عنه كل البعد في اليـوم الذى أنهى فيه حياته كتب لى خطابا : « عزيزتى آنى ٠٠ ظللت اسابيع وربما شهورا ٠٠ أصلى فقط من أجل أن أرى ما يجب أن أفعل ٠ وهذا الصباح ، دون بادرة ، رأيته واضحا كما حدث مساء يوم الجمعة ذاك من أغسطس ١٩٥٥ حين قررت أن تكونى زوجتى ، تعرفين اننى أحبك، لكننى يجب أن أعمل شيئا من أجل الاطفال في قرية هذا القس ٠ نورمان »

**

تتقدم مارجى ، كربة بيت أمريكية شابة ، وتقرأ هذا الخطاب ٠٠

مارجى : ١٨ فبراير ١٩٦٣ ..

عزيزى الرئيس كيندى :

ان شقيقى ، الاخصائى جيمس ديلماس ماك ندرو ، هو واحد من طاقم الطيارين السبعة الذين قتلوا فى حادثة طائرة هليكوبتر فى فيتنام بتاريخ ١١ يناير .

وقالت تقارير الجيش فى البداية أن الطائرة اصيبت نتيجة اطلاق النار من جانب الشيوعيين ، ثم قالت أخيرا ان السبب فى كارثة الهليكوبتر هو سوء تأدية المشرفين على الطيران لوظائفهم . وقد اندهشت حين عرفت أن « سوء تأدية المشرفين على الطيران لوظائفهم » ليس راجعا «لاطلاق النار من جانب الشيوعيين » ، وعلى أى حال ، فان هذا لم يعد شيئا مهما الان ، ولا تعنينى معرفته ..

لى شقيقان اكبر منى التحقا بالبحرية والاسطول فى ١٩٤١ عقب نشوب الحرب مباشرة ، وأديا واجبهما طوال فترة الحرب وخاضا عددا من المعارك الهامة ثم التحق جيم ايضا بالبحرية بمجرد أن بلغ السن المناسبة وقضى زمنا طويلا وراء البحار ، وطوال سنوات الحرب ، بل وحتى طوال فترة الصراع فى كوريا كنا مشغولين بهم جميعا ، لكن هذا كان شيئا مختلفا كل الاختلاف ، كانت حروبا تخوضها بلادنا ، وكل واحد هنا كان يعرف ان ابناءنا واخوتنا يقدمون أرواحهم من أجل بلادنا .

وأنا لا أستطيع أن اكتم احساسى بأن الانسان حين يقدم حياته لبلاده فهذا شىء ، أما أن يرسل الى بلاد لم يسمع نصفنا باسمها على الاطلاق من قبل ، ثم يطلق عليه النار حتى دون ان تكون لديه فرصة الرد ، فذلك شىء مختلف كل الاختلاف !

أرجوك ، أنا لست سوى ربة بيت لا تستطيع حتى الزعم بانها تفهم كل شىء فى الموقف الدولى . لكننا نحس المرارة الطاغية بسبب هذا : هل هذا العدد القليل من أبنائنا هناك فى فيتنام يؤدون عملا ضروريا جدا بحيث يبرر هذا الرقم المفزع للضحايا ؟ يبدو لى اننا اذا كنا سنرسل ابناءنا الى هناك فلابد ان نرسل عددا كافيا كى

تكون أمامهم الفرصة ، أو أن نظل حيث نحن . اذا كانت الحرب تستحق أن نخوضها .. ألا تستحق أن نخوضها لكى ننتصر ؟ ..

المخلصة : بوبى لونبدرجراس
١٦١٥ فرينش ستريت ، سانتا آنا ، كاليفورنيا

**

بوب ينهض ، يجلس فوق صفيحة البترول ، ويستخرج نوتة يدون فيها ملاحظاته ، يتكون تدريجيا جانبـــان متقابلان ، متواجهان ، تبدأ لعبة الدبلوماسية .

**

بـــوب : سنسحب قوات الولايات المتحدة فى نهاية ١٩٦٥

ايـــان : ونحن نتعهد بتقديم العون الكافى لتحقيق النصر

مايـــك : وسنتدرج فى المفاوضات وفى القتال معا

بـــوب : التسلل من الشمال ــ ٢٥ الفا من الفيت كونج ، ومن الرجال العسكريين للولايات المتحدة : ١٦ ألفا .

جـــون : اننى اطالب باجتماع على نفس غرار مؤتمر جنيف .

ليـــون : الحكومة السوفييتية مصرة على اســـتدعاء مؤتمر جنيف للانعقاد من جديد .

بـــادى : ان جبهة التحرير الوطنية لا تعارض عودة أى مؤتمر دولى للانعقاد

ايـــان : نحن لا نثق فى مؤتمرات تقر العنف وتعترف به .

هـــوج : ان جبهة التحرير الوطنية ستبدأ مفاوضة الولايات المتحدة فى رانجون الان .

كليفورد : أنا بصفتى الخاصة كوسيط أطلب منكم أن تبلغوا الرئيس بأن فيتنام الشمالية مستعدة للتفاوض .

مايـــك : ان عــروض البيت الابيض ووزارة الخـــارجية وهانوى ليست عروضا جادة .

كليفورد : كيف تعرف أنها ليست عروضا جادة .. ؟

مورجان : ان مســئولا كنديا التقى بنائب فى مجلس مدينـــة هانوى حذره من أن هذه العروض ليست عروضا جادة .

أغنية : التصعيد

الجميــع : نحن نعرف ما نفعل
ونعرف لماذا نفعل
نحن نعرف ما نفعل
ويجب ان نعرف لماذا ..
فقد فعلناه من قبل .
نحن نعرف ما نفعل .

ونعرف من أجل من نفعل
نحن نعرف ما نفعل
فابتعد عن طريقنا
والا فأنت تعرف ما نفعل ..
وسنفعله ضدك أنت ..

ايــان : هناك خطر واثارة من الشمال ، ومثل هذه الاثارة لابد أن تثير استجابات .

مورجان : يبلغ عدد قوات أمريكا فى فيتنام الان ٢٢ ألف جندى ..

بــارى : دورية من ثلاثة قوارب مسلحة تابعة لفيتنام الشمالية ودون أن يستفزها أحد قامت بمهاجمة سـفن الولايات المتحدة فى خليج تونكين ..

هــوج : لا ، لا غير صحيح ، فالسفن الامريكية تتوغل فى مياهنا الاقليمية ، والطائرات الامريكية تغرق زوارق الطوربيد التى نرسلها لصد سفنها .

جــون : ان حادثة خليج تونكين قضت تماما على أية امكانية لقيام مفاوضات دولية .

ليــون : عمل متعمد من أجل منع الضغط من اجل السلام كى يصبح قويا وفعالا .

مورجان : ان الكونجرس يقر ويوافق على تصميم الرئيس بوصفه القائد الاعلى على اتخاذ ما يراه من الاجراءات لصد أيـة هجمات مسلحة على قوات الولايات المتحدة .

بــوب : يقوم السلاح الجوى الامريكى بهجمات مكثفة على القواعد الساحلية لفيتنام الشمالية .

مورجان : لدى الرئيس الآن سلطات كاملة للتعامل مع العدوان من الشمال ..

بـــوب : رغم هذا يزيد التسلل . بدأت الغارات الجوية على الشمال تصبح الان غارات يومية . لكنني لا أعتقد أننا يمكن أن نصبح مؤثرين في فيتنام الجنوبية خلال فترة قصيرة .. مجموع الغارات فى الشمال والجنوب : ٤٧٠٠ غارة . المجموع الكلى للمتسللين : ٣٩ ألفا ..

ايـــان : لن ننسحب لا علنا ولا فى ظل اتفاقية بلا معنى ..

بـــادى : يمكن تلخيص مطالبنا فى نقاط أربع : الســـــلام ـ الاستقلال ـ الحياد ـ الديمقراطية .

مايـــك : ستتوقف الغارات الجوية فوق فيتنام الشمالية ظهر يوم الاربعاء ١٢ مايو ١٩٦٥ ..

**

يسترخى الجميع فى أماكنهم

**

ان حكومة الولايات المتحدة وهى تتخذ هذا القرار تضع فى اعتبارها الاقتراحات التى ترددت كثيرا بأنه لن يكون ثمة تقدم حقيقى نحو السلام طالما ظلت الغارات الجوية دائرة فوق فيتنام الشمالية .

هنـــرى : وستكون الولايات المتحدة حريصـــة كل الحرص على أن تراقب ـ خلال هذه الفترة ـ ما اذا كانت العمليـــات العسكرية الموجهة من الشمال قد أنخفضت بشكل فعال أم لا ، والولايات المتحدة تعى تماما أن هذا التـــوقف المؤقت قد يساء فهمه على أنه دلالة ضعف . هنا نجد من الضرورى أن نؤكد أنه اذا أسىء فهم وقف الغارات المؤقت بهذه الطريقة ، فان الولايات المتحدة ستكشف بوضوح أكثر من أى وقت مضى أن ..

بـــارى : (لجون) : أبلغ واشنطون أننا مستعدون للتفاوض على هذه الاسس الاربعة قبل أى أنسحاب مسبق للقوات الامريكية .

**

جون يتحرك نحو بولين ، لكن بارى يجذبه نحوه

بـــارى : ان الادارة ليست راضية ، لا استجابة من جانب فيتنام الشمالية خلال وقف الغارات ••

**

يتوتر الجميع ••

**

جـــون : ان الحكومة الفرنسية لم تستطع ان تنقل العـــرض الى هانوى الا بعد استئناف الغارات بعدة ساعات ••

روجـــر : سيكون هناك مزيد من السخط قبل أن تجتمع كل الاطراف حول مائدة واحدة ، ولكن اذا تحقق شىء من النجاح فان هذا يعزى ــ فى المقام الاول ــ الى الجهد الدءوب والمتصل الذى قامت به الحكومة البريطانية من وراء الكواليس ••

**

تبدأ أغنية « التصعيد »

**

بـــوب : عدد أفراد القوات المسلحة الامريكية ٧٥ ألفا ، عـــدد المقاتلين من الفيت ــ كونج ٧٠ ألفا ، ارتفع عدد القوات الامريكية الى ١٢٥ ألفا ، هاجمنا الجســـور كى نوقف تدفق الرجال والمواد ، كانت هجمات ناجحة ورغم هذا لم يتوقف التدفق لكنه نقص فقط ، فقد أوقفنا خســـــارة الحرب ••

**

يسترخى الجميع من جديد ، يجلسون أو يستندون لدى سماعهم كلمات هنرى ••

**

هنـــرى : مرة أخرى توقف الولايات المتحدة القصف بدءا من مساء عيد الميلاد ، واستمر هذا الايقاف مدة ٣٧ يوما ، وفى الوقت نفسه أرسل الرئيس جونسون ممثلين لفخـــامته على مستوى عال الى رؤساء حكومات عدد من الدول كى يشرحوا لهم رغبتنا الحارة فى انهاء هذا الصراع نهـــاية سلمية وعاجلة •

تنتهى الاغنية

**

كليفورد : نحن ندفع ثمن السلام فى فيتنام ..

**

تبدأ الاغنية من جديد

**

بـــادى : اذا كانت الولايات المتحدة تريد السلام حقا ، فيجب أن تبدأ المفاوضات مع جبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية

ايـــان : اننا لا نستطيع ان نعتبر جبهة التحرير الوطنى ـ على أى نحو ـ ممثلة شرعية لشعب فيتنام الجنوبية ..

بـــادى : ما هى القوى الاخرى فى فيتنام الجنوبية ؟ .. وماذا تمثل ؟ ..

مورجان : هل أنت مـــوافق على استئناف الغـــارات على فيتنام الشمالية ؟ ..

بـــوب : نعم ..

**

يعود الجميع الى التوتر مرة أخرى

**

أهدافنا هى أن نؤثر فى ارادتهم من أجل الوصـــول الى تسوية مرضية ، ونحن لم نبلغ هذا الحد بعد ..

بـــارى : الهدف الذى لم يهاجمه الطيارون الامريكيون من قبل : هايفونج ..

مورجان : ٧٠ طائرة نفاثة أمريكية تتقاطع موجاتها فوق هانوى ، ٧٢ طنا من القنابل زنة ٧٥٠ رطلا فى ٢٥ دقيقة .

بـــوب : هذه الهجمات موجهة لقلب نظام البترول وتهـــدف فى الوقت المناسب لان تضع حدا أدنى بالنسبة لعدد الرجال الذين يجب أن تقدم لهم المعونة فى الجنوب .

روجـر : يجب على الحكومة البريطانية أن تخرج نفسها من مسألة الغارات هذه ..

**

يتنحى جانبا . تستمر موسيقى الاغنية دائرة

ايـــان : اذا وافق قادة فيتنام الشمالية فقط على أن يقولوا لنا اين ومتى يرون أن يسألونا مباشرة عما يمكن عمله من اجل احلال السلام فى فيتنام الجنوبية ، فسيكون معى أقرب مستشارى وأكثرهم محلا للثقة خلال عدة ساعات ٠وحتى ذلك ألحين فان غارات الولايات المتحدة ستظل مستمرة لتشكل عبئا متزايدا عليهم ٠

بـــادى : ان جمهورية فيتنام الديمقراطية ليس أمامها بديل سوى طلب العون ، من الدول الاشتراكية أســـــاسا ، وذلك لامدادها بالاسلحة الحديثة ٠٠ والطائرات والمدافع المضادة للطائرات والصواريخ ٠٠

**

تتوقف الموسيقى تماما

**

ايـــان : سنرى هذا الامر بالتفصيل ، سنظل مستمرين ، وسننجح

**

تبدأ الغارة الجوية ٠ ضجة تصـــم الاذان ، الممثلون يصبحون عرجى وجرحى ٠ تبدأ دمية الجندى الضـــخمة المعلقة فى سقف المسرح فى السقوط ، تتهاوى محطمة على أرض المسرح ، ايان ينتفش من جديد ليمثـــــل الوحش الكوميدى مرة أخرى ، أورسولا تتدحرج صــــارخة على الارض وهى تحاول أطفاء النار المشتعلة فى جسمها على حين تخفت الضجة ، وتبدأ الدمية فى الثبات ، تبـــــدأ موسيقى أغنية « ابن واهدم » ، فى التردد ٠ مايك وبارى فى زى عسكرى ، جيلندا ومايك فى ثياب طبية بيضاء يأتون خلال الدمية ، الممثلون الباقون ما زالوا يتلوون جرحى يبــــدون من حاجز مايك وبارى نحــــو جليندا ومايك ٠٠

**

« أغنية : ابن واهدم »

جليندا ومايك: خلالى أنا سماعة « الطبيب » البرت شفاتيزر

مايك وبارى: خلالى أنا ترسانة مايكى سبيلين

أضع الابهات فى آلة تقطيع اللحوم
جليندا ومايك: ونحن نلتقط الشرائح ونضمها لبعض من جديد
الاربعة معا : نريد ان نكون بررة فلا نكون الا بشرا ..
ننتزع الجلد القديم ، نضع بدله الجلد الجديد

مايك وباري: نشوه ونمزق خلال الليل
جليندا ومايك: ونشفى ونبرىء خلال النهار
الاربعة معا : تماما كما تفعل أنت .. تماما كما تفعل أنت ..

**

يصرخون بهذا السطر الاخير فى وجه بادى الذى يقف متخذا وضعا بطوليا ، فى مواجهة الاربعة

يتقدم بوب الى الامام عبر الدمية ، وهو يلبس قميصا طويلا أبيض ويمسك بيده يدا صناعية .

**

بـــوب : أنا صانع اطراف صناعية محترف من اسبانيا ، وقـــد أعتدت أن أرى حالات كثيرة فى بلاد كثيرة حول العالم حيث أؤدى هذا النوع من العمل ، لكن هذا المكان أثارنى أكثر من أى مكان آخر فى العالم . ربمـــا لان معظمهم مدنيون ولان الكثيرين منهم لا يعرفون ما الذى يحدث ، انهم يظلون فى بيوتهم وسط الغابات ، ثم تأتى الطائرات والقنابل اليهم ، تسقط القنابل فوق رءوسهم وهم لا يعرفون ما الذى حدث ، انهم لا يعرفون من هم رجـــال الفيت كونج ، حين وصلت هنا كان من الصعب أن أجـــد مرضى خلال الشهر الاول ، الآن لدينا منهم عدد كبير ، وستزيد اعدادهم فى الشهور التالية ، لان كل ريفى يقول للاخر فى القرية فيأتون جميعا الى هنا .. كلهم يريدون أن يكتسبوا اللياقة بالاطراف الصناعية

مايـــك وبارى معا : املأ سماء المنطقة بالشظايا المتطايرة ..
خمسة آلاف شظية كأموآس الحلاقة تنهمر كالمطر ..
جليـنـــدا ومايك معا : فى داخل مستر هايد برعم اسمه جيكل ..

**

يلتقط الشرائح ويضمها معا .

الاربعـة : نريد ان نكون بررة ، فلا نكون الا بشرا •
ننتزع الجلد القديم ، نضع بدله الجلد الجديد •
مايـــك وبارى : نمزق ونشوه فى الليل
جليـنـــدا ومايك : نشفى ونداوى فى النهار •
الاربعـة : (لبادى) : تماما كما تفعل ، تماما كما تفعل ••

**

باری ينحنى ، ويمثل بحركات صـــامتة أنه يحمل الاطفال •• مارجى تقف فوقه ، تراقب ••

**

مـارجى : هس •• دعى هذا العريف اللطيف يحملك ، لا تتكلمى ••
بـارى : أريدها أن تتكلم ، أريدها أن تحس بأنهـــا حرة لتقول ما تريد ان تقوله ، فهذا ما يدور حـــوله كل شىء •• وسنجد اننا اقوياء جدا اذا فعلناه •• أن تقول ما تحبه فى أمريكا ، تستطيعين أن تضعى يديك حول عنقى بقوة أكثر حتى استطيع أن أحمل أثنين منكما •• فأنت بنت ثقيلة الوزن • هل هذا أخوك ؟
هيا ضعى يديك حول عنقى بقوة ،لا أدرى لماذا لاتفعلين، ربما لاننى رجل بما فيه الكفاية ، ســأحملك على رأسى وصديقك يمسك بى هنا وأعتقد اننى استطيع أن أحملكما معا ، ليس احدكما فى وزنه العادى ولا أظن هذا ذنبكم ، هيا يا ولد ، تسلق العم هنرى ، سيأخذكم كى تصبحوا على ما يرام مرة أخرى ، آه ، وهذا ما اعتقده ــ أو أنت فقط ــ فأنا لا أستطيع أن أقول لك لا • أمسك برجليك اذن ، خطافك فى أذنى ، اذا استطعت أن تضعه على شريط سترتى العسكرية •• نعم •• أنا جندى حقيقى هذا لاننى رقيب ، جندى مهم جدا ••

**

يسلم الاطفال غير المرئيين الى جليندا ، ثم يعود الى الصف ليشترك فى الاغنية ••

**

الاربعـة : نحن نعامل العدو ، كما نعامل أشقاءنا ••
فالله خلق العائلة نعمة ونقمة ••

جليندا : الزوجات والازواج يشرحون بعضهم بعضا ..

الاربعة : نلتقط الاشلاء ونضعها جنبا لجنب ..
نريد أن نكون بررة ، فلا نكون الا بشرا ..
نذهب بالجلد القديم ، ونعود بجلد جديد ..

مايك : نشوه ونمثل فى الليل ..
وبارى

جليندا : ونشفى ونداوى بالنهار ..
ومايك

الاربعة : (للجمهور) : تماما مثلكم .. تماما مثلكم ..

**

بادى يمثل بحركات صامتة القاء قنبلة يدوية صغيرة ، ثم صوت انفجار ضخم ، الاربعة فى المستشفى يتمددون قتلى . تبدأ الدمية فى الارتفاع من جديد ، يتجمع معظم الممثلين خلف هوج يمشون مثل الرجل الصارع ، قليل منهم يتجمعون خلف بوب يمسكون اجزاء من حطام الطائرة يلتقطونها من كومة النفايات ، يمسك كل من بوب وهوج بميكروفون . الجماعتان تواجهان احداهما الاخرى ..

**

هوج : نريد أن نؤكد القول للامبرياليين فى الولايات المتحدة إن هذا المحيط الشاسع الذى يضم مئات الملايين المسلحة من أفراد الشعب الصينى قادر على أن يبتلع ملايينكم القليلة من قوات العدوان ، وقنبلتكم الذرية لا يمكن أن تخيف الشعب الصينى ، اذا كنتم تريدون أن ترسلوا قواتكم فهيا افعلوا ، وكلما كانت أكثر كلما كان ذلك أفضل .. سنبيدهم عن آخرهم ، سنبيد كل من تستطيعون أن ترسلوه ، ونستطيع أن نعطيكم ايصالات بعددهم ، نحن نعرف أن الحرب تعنى الدمار والتضحية والعذاب للشعب ، وتضحية عدد قليل من الناس فى حروب ثورية سنحصل فى مقابلها على الطمأنينة للأمة كلها ، بل ولكل البلاد ، وللانسان فى كل مكان . التضحية المؤقتة عائدها

السلام الدائم والسعادة الدائمة ، الحرب يمكن أن تقدم الشعب وتدفع التاريخ الى الامام ، على هذا النحو يمكن القول بأن الحرب مدرسة ..

بـــوب : نحن نعرف أن الحرب تجلب الدمار والتضحيات والغناء للشعب ، والتضحية بعدد قليل من الناس فى الحرب تعطينا فى مقابلها الطمأنينة لكل الامم ، لكل البــلاد ، وللانسان فى كل مكان . التضحية المؤقتة عائدها السلام الدائم والسعادة الدائمة ..

**

يستدير هوج نحو جماعته ، ويستدير بوب نحـــو جماعته كذلك ، ويروح كل منهما ينظم جوقته فى أغنية عدائية ، بوب يغنى « أغنية التصعيد » ، وهوج يغنى أغنية « الديدان » ..

**

بـــوب : نحن نعرف ماذا نفعل
ونعرف لماذا نفعل
نحن نعرف ماذا نفعل .
ويجب أن نعرف لماذا نفعل .
لاننا فعلنا ما فعلنا من قبل .
فابتعد عن طريقنا .
والا فأنت تعرف ما نفعل ..
وسنفعله ضدك أنت

هـــوج : حين وجدنا أننا نزداد ضعفا كل يوم
وكنا نحس بأننا على وشك الموت
كان ثمة شيء يستصفى منا قطرات الدم .
كان ثمة شخص امتص دمنا حتى الجفاف
كانت دودة ، دودة مالك الارض ، انتفخت حتى جحظت
عيناها من الدم ، وكان فكاها من الصلب
فأنتزعناها
وألقيناها على الارض
وسحقناها بالاقدام

الاغنيتان معا تتداخلان فى نشاز مروع ، يأتى مارك متدخلا بين الجماعتين بوب وهـــوج يدعوان للصمت ، ويمسكان بالميكروفونات أمام مارك ..

**

مـــارك : ارموا قنابلكم هنا ، وارموا ضمائركم هناك ..
فأنتم تأخذون الانسان وتلوونه ليا شديدا ..
هكذا .. رطبوا جلدى بملامسة النساء ..
وبللوا شفتى بالويسكى
واحشوا أنفى برائحة الثوم
وضعوا على عينى طبقة من الزبد
وصبوا الفضة فى أذنى
وضعوا قدمى فى الجبس
واحكوا لى الاكاذيب عن فيتنام ..

**

فترة صمت قصيرة .. تتجمع كلتا الجماعتين حول مارك ، يغنون أغنية « التصعيد » ، معا وترتفع أصواتهم حتى يضربوا الارض بأقدامهم ، ويسـقط مارك على الارض ، يمرون جميعا « امامه » بعيدا عنه .. مصعدين الخشبة ، يدبون بأقدامهم فوقه كلما مروا ويغنون . فترة صمت . يجلس ثم يشعل عود ثقاب .

**

مـــارك : اذا أنت لم تنفق أموالك
بقى لك دائما قدر من المال .
واذا ظللت باردا لا تحترق
فلن تتحول ابدا لرماد .
اذا بنيت بيتك من النفايات
ستحب رائحة النفايات .

واذا ظللت تزحف على الارض
فانك ابدا لن تتحطم
اذن .. لماذا .. لماذا .. لماذا ..
ما الذى يجعلك تظن نفسك تستطيع أن تطير .. أن تطير .. أن تطير ؟

في الضوء الخافت ، يجذب هنرى وبارى ورأساهما مختفيان في حقائب من الورق ويتحدثان فى الميكروفونات. انهما كرجال عميان فى الكواليس وهما يلامسان مارك

**

هنـــرى : الآن .. فيما يتعلق بالصين ، هل سنجد أنفسنا مواجهين بحرب مع الصين نفسها في تقديرك يا جنرال ؟ هل تعتقد أننا سنستدرج الى قصف شامل لاراضى الصين ؟ . .

بـــارى : قصف نووى ؟

هنـــرى : حسن .. فلنقل أولا .. قصف تقليدى ؟ ..

بـــارى : فى رأيى .. لابد انهـــا ستتطور الى حـــرب نووية على أى حال ، ليس ثمة شك فى هـــذا . . واذا كنا سنختـــار استخدام الاسلحة النووية . فان الدمار سيكون محتوما، والدمار الذى يمكن أن نوقعـــه بأى دولة باحتياطاتنـــا الهائلة ، سيكون فوق كل حدود معقولة

هنـــرى : فوق ما يمكن تصوره ؟

بـــارى : نعم ..

هنـــرى : ولكن .. اذا كنا سنحدث مثل هذا التفكك الشـــامل باستخدام الأسلحة النووية فهل تعتقد أنه من الضرورى احتلال الصين احتلالا فعليا بقوات المشاة الامريكية من أجل ايقاع الهزيمة بالصين نفسها ؟ ..

بـــارى : اذا كان هدفك هو النصر .. فالاجابة نعم .. ليس كل الصين بالتأكيد ولكن المناطق الهامة ضرورية ..

هنـــرى : فى تقديرك .. كم عدد الامريكيين الذين يتطلبهم مثل هذا العمل ؟ ..

بـــارى : لا أعرف .. آسف .. لا أستطيع أن أخمن

**

بارى وهنرى يجذب كل منهمـــا ميكروفونه بتجهم ، تشحب الاضواء على مارك وحده ..

« نهاية الفصل الاول »

أغنية : الى من يهمه الامر

مـــارك : دهمتنى الحقيقة ذات صباح
منذ الحادثة وأنا أسير على هذا النحو
ضع ساقى ـ اذن ـ فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

بـــوب : سمعت ساعة التنبيه تعوى بالالم ..
لم أستطع أن أجد نفسى فرجعت للنوم
املأ أذنى ـ اذن ـ بالفضة ..
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

مـــارك : كلما أغمضت عينى لم أبصر سوى اللهب
صنعت دليل التليفون من الرخام وحفرت فوقه الأسماء كلها
أغلق عينى اذن بطبقة من الزبد
واملأ أذنى بالفضة
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

بـــوب : شممت رائحة شىء يحترق ، ارجو الا يكون رأسى
أحش أنفى اذن برائحة الثوم
واغلق عينى بطبقة من الزبد
واملأ أذنى بالفضة
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

مـــارك : أين كنت أنت لحظة الجريمة ؟ ..
الى جانب النصب التذكارى تشرب الانخاب ؟ ..
رطب شفتى اذن بمذاق الويسكى
واحش أنفى برائحة الثوم
واغلق عينى بطبقة من الزبد
واملأ أذنى بالفضة
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

الاثنان معا : ارم قنابلك هنا ، وارم ضميرك هناك

انت تأخذ الكائن الانسانى ، فتظل تلويه ، تمزقه ..
رطب شفتى اذن بمذاق الويسكى
ورطب جلدى بملامسة النساء
واحش أنفى برائحة الثوم
وادهن عينى بطبقة من الزبد
واملأ اذنى بالفضة
وضع ساقى فى الجبس
واحك لى الاكاذيب عن فيتنام

الفصل الثانى

أزيحت الان كومة النفايات .. على المسرح هيــكل الطائرة المحطمة ، تمتد منها قضبان أشبه بالحواجز فى قاعة ألعاب رياضية تكون اطارا للحدث . تنتشر الحشايا على الارض ، يدخل هوج وروجر ويتكثان . تطفأ أنوار الصالة . هوج يأخذ روجر ويوقفه أمام حطام الطائرة ، يدخل اربعة ممثلين كفرقة الاعدام ، يصدر هوج أمــره فتتخذ فرقة الاعدام وضع التصويب على الهدف ، روجر يتمتم بكلمات كتعويذة « شرقية » ، يدخل بقية الممثلين جميعا ، ويحدقون فى مشهد الاعدام ، يجلسون ويتكئون على الحشايا ، يقف بوب ومارك فى ركنى الخشبة ومعهما الميكروفونات ماجى تسير متجولة والميكروفون بيدها ، تغنى بصوت أجش كمغنية فى ناد ليلى

**

أغنية : وردة سايجون

وردة سايجون
تلبس الدرع المصفح
لا شيء حي فيها الا فمها
وردة سايجون
وردة سايجون
يبدو أنها تقف بانتظار
الذى لن يأتى أبدا ..

**

فترة صمت .. يرفع هوج يده ثم يخفضها ، تطـلق فرقة الاعدام النار ، يتكوم روجر الى الامام ، كما لو كان

متدليا من حطـام الطـائرة ، يلتقى بوب ومارك وسط الخشبة ، يلعلع صوت الموسيقى . .
بوب ينزع منه الميكروفون ويستدير ، مارك ينتزع منه الميكروفون ويعطى بدله صفيحة بترول انجليزية . يجمد قليلا ثم يجلس ، يستخرج علبة ثقاب يضعها أمامه ، ثم يضع خطابا الى جانبه ، يفتح غطاء صفيحة البتـرول ، جليـنـدا تقف ثم تقترب منه . بقية الجمـاعة يرقبون المشهد عن كثب

**

جلينـدا : هل تعتقد أن الرئيس جونسون أو مستر كوسيجين أو هارولد ويلسون سيكون بوسعهم حتى رؤية هذا الخطاب؟
مـــارك : ستنشره الصحف . .

**

جليندا تتأمله مليا . .

**

جلينـدا : هل تأمل فى أن يجتذب اهتمام الناس الى الحرب فى فيتنام ؟ . .

**

مارك يحنى رأسه بالايجاب

**

نحن بعض هؤلاء الناس ، هل تأمل فى أن تجتذب اهتمامنا الى الحرب فى فيتنام ؟

**

مارك يحنى رأسه بالايجاب

**

ها قد اجتذبت اهتمامنا ، وقد لاحظنـــا ما تريد أن تعلنه ، ماذا يمكننا أن نفعل الان ؟ . .
مـــارك : أن تتغيروا . .
جلينـدا : هل تعتقد اننا سنتغير على هذا النحو لمجرد أننا قرأنا ــ وسط ما نقرأ من الحوادث والوان الرعب ــ فقرة صغيرة

عنك وأنت تشعل فى نفسك النار ؟

مـــارك : لابد أن أحدا سيتفير ..

جلينـــدا : ليس معقولا أن يكون هذا الشخص الذى سيتفير من أهل الاساطير • (**تأخذ علبة الثقاب**) خذنى انا كمثال . فأنا مثال مناسب ، أنا أعطى صوتى دائما لليســار ، ولى آرائى التقدمية حول قضية الشــذوذ الجنسى ، وقضية الحكم بعقوبة الاعدام ، وأنا قارئة لا بأس بها ، متخرجة فى الجامعة ، وأعمل كل ما بوسعى كيلا نشترى فواكه جنوب افريقيا ، ما الذى تعتقد ـ بحق الجحيم ـ أننى سأفعله غدا أكثر مما فعلت اليوم لمجرد أنك أحرقت نفسك ؟

مـــارك : هل تعرفين ما الذى يحدث هناك ؟

جلينـــدا : أعرف طبعا . نحن جميعا نعرف . فهذا شىء تعرضه الافـلام والتليفـزيون وقريبا سيجعلـونه أيضـا على اسطوانات ..

مـــارك : أنت امرأة .. عليك أن تنجبى أطفالا لهذا العالم ..

جلينـــدا : لا ، لست هكذا ، لم نعد هكذا بعد . نحن الذين نختار أن ننجبهم أو لا ننجبهم ، هل اختارت أمك أن تنجبك أنت ؟ واذا كانت قد اختارتك فلماذا ؟ هل انجبتك كى تثبت لنفسها انها امرأة ؟ أو لتحافظ على استمرار رابطة الزواج أو لان الاخريات جميعا لديهن أطفــال ؟ وهل أرادت مجرد طفل أو ارادتك أنت ؟ واذا كانت ارادتك انت ، فلماذا ليست هنا الان حين تريدينها أنت ؟

**

مارك يقوم بمحاولة للاجابة عن أسئلتها ..

**

ربما لم يكن هذا خطأ منها ، ربما لم تكن قادرة على الفهم ؟

**

مارك صامت .. جليندا تنظر نحوه بتفحص ..

جليندا : لماذا لا تقوم بشيء عملي ؟ .. اذهب الى فيتنام وقدم ما تستطيعه هناك ، نظم مسيرة ، ارفع لافتة .. هل حاولت القيام بهذه الاعمال ؟ ..

**

يحنى مارك رأسه بالايجاب

**

انا أود أن اسير وفى كتفى سلاح ، مثل فتاة وطنية تنتمى للمقاومة ، لا تستطيع أن تقول من هى الا صباح يوم النصر ، كل مافعلته : هو ان اشتركت فى مسيرة ، ثم نظرت ورائى ، فرأيت هذه الألوف ، وقلت لنفسى أننى لست وحدى .. ثم فكرت بعد ذلك اننا خمسة الاف من بين خمسين مليونا وهذا يعنى أننى وحدى .. اذا كنا جميعا مهتمين فبوسعنا أن نزحم الممرات والطرق ونشل حركة لندن ، لكننا ظللنا نسير تحرسنا السلطة . بوسع قاطعى التذاكر الذين يضربون من أجل زيادة أجرهم شلنا واحدا أن يوقفوا الخط كله ، أما من أجل سلام العالم فنحن لا نستطيع أن تغلق طريقا جانبيا مدة ساعة واحدة ..

هل تذكر ليلة حسبنا أن العالم كله على وشك الانفجار من أجل كوبا ؟ . كنت أقف خارج السفارة الامريكية . لم أكن أتظاهر لكننى كنت أرقب الاخرين يتظاهرون .. أين كنت أنت ؟ ..

مـــارك : ذهبت الى السينما ..

جليندا : مع أى واحد ؟ ..

**

مارك يهز رأسه ..

**

لقد فكرت : سواء انطلقت القنابل الرهيبة فى صباح الغد أم لم تنطلق فلا شيء أستطيع أن أفعله هذا المساء يمكن أن يغير من اى شيء ..

تنظر اليه .. هو صامت .. انسحب الى داخل نفسه

**

الا تستطيع أن تتكلم ؟ .. ظننتك ذكيا لانك ستفعل هذا .. ربما كنت مجرد شاب غبى ينتمى لاحدى الفرق الدينية السخيفة

**

هو صامت

**

أنا أكرهك .. أنت مغرور مفتون بنفسك .. أنت مثل هؤلاء الذين يحاولون ان يجذبوا اهتمامك الى الطفل الاسود الذى يصورونه على الملصقات .. أحيانا فى بعض ليالى أعياد الميلاد يدور ببالى أن أرسل لهم شيكا .. لكن الامر ينتهى بى الى كراهية هذا الطفل الاسود ، ربما لو كان هنا الان .. لاستطعت أن أنظفه ، واجفف أنفه وأخلصه من الاكزيما والديدان وأرعاه كطفلى .. حتى متى يستمر هذا الوضع ؟ .. لا أعرف ، لكنه ما دام شيئا يتسول عن طريق الملصقات فأنا أكرهه .. ان الامر يشبه شخصا يندفع الى حديث جاد فى حفل صاخب ، أريد أن أمشى ..

**

تمشى بالفعل ، يبدأ الممثلون كذلك فى الانسحاب تدريجيا ، بعضهم يستلقى تماما ، لكنهم يظلون يراقبون مارك ..

**

طيب .. ها أنت قد اجتذبت اهتمامى لفيتنام ، سأرسل لك شيكا فى الصباح ، هذه هى استجابتى ،هل تعتقد ان استجابة أى انسان اخر ستكون مختلفة عن استجابتى ؟ ..

**

مارك يستغرق وقتا طويلا كى يجيب ..

مـــارك : اذا كان كل ما قلته صحيحـا فهذا يعنى أننا جميعـا لا نساوى شيئا

جلينـدا : واذا كنا جميعا لا نساوى شيئا فما جدوى أن تقتـل نفسك ؟ ..

**

مارك ينتزع كلماته كما لو كان يجتذب مع كل كلمة ثقلا كبيرا ..

**

مـــارك : على أن أعتقد بأننا لسنا جميعا لا نساوى شيئا .. وأنه لابد هناك انسان ما .. فى مكان ما ..

**

جليندا ترجع اليه ..

**

جليـنـدا : هل حاولت أن تقتل نفسك من قبل ؟ ..

**

يهز رأسه بالنفى ..

**

هل أنت عضو فى الحزب الشيوعى ؟ ..

**

يهز رأسه بالنفى ..

**

هل هناك أعراض جنون وراثية فى عائلتك ؟ .. ألم تذهب أبدا لطبيب عقلى ؟ .. أليس أبوك وغدا او سكيرا او صاحب ملف فى البوليس ؟ .. هل أنت مطرود من عملك ؟ .. ألم تترك فى حجرتك كتبا ملوثة ؟ .. ألا تخشى أن يأتى الرجال ذوو الارجل الصغيرة من « فليت ستريت » فيقلبون الاوراق وينظرون فى المرحاض واذا وجدوا أى شىء فسيستخدمونه ضدك ؟ .. هـل أنت متأكد انك مجرد شاب أبيض نقى طاهر الذيل ؟ ..

مـــــارك : أنا لا أحاول أن اكون المسيح ..

جلينـــدا : صحيح ؟ .. اذا كنت لا تحاول فتذكر شيئا : ان المسيح لم يقتل نفسه لكنهم قتلوه . اذا كنت تريد أن تكـون شهيدا فما عليك الا أن تنظر داخل نفسك ، ثم قل ماتراه بصدق .. مرة واحدة فقط ، فى هذه الحالة ليس عليك آن تقتل نفسك .. سيتكفل الجنس الانسانى بقتلك ..

**

مارك يمد يده نحو علبة الثقاب

**

الكنائس أماكن دافئة فى الشتاء ، رطبة فى الصيف ، أذهب اليها فأجلس هناك .. وأتمنى الا تكون هناك تلك النسوة العجائز « الزنخات » اللاتى يحملن الورود ويأتين بها كى يثرثرن.. أدخل الى حيث تؤدى الشعائر وأخرج ككلب يتشمم آثار صاحبه .. هل تعرف ؟ هؤلاء السادة

المحترمين فى حللهم الكاملة الذين يأتون كل أحد ليقولوا بصوت واحد : « لقد تركنا الاشياء التى كان يجب أن نفعلها دون فعل ، وفعلنا كل ما كان يجب علينا ألا نفعل .. ولم تعد بنا صحة بعد » ؟..

ــ أود أن أقولها معهم لكننى لا أستطيع .. الى أين تنظر بعد ذلك ؟ .. الى فرويد ؟ .. لكن فرويد يقودنا الى النقطة نفسها : « انك لست ما تود أن تفكر فيه .. أنت ما تفكر فيه .. » ، وفجأة ظننت أن ســارتر لديه الجواب ، فقرأت المزيد : « لقد اخترت أن تكون ما أنت عليه ... » ولم أكن مستعدة لقبول هذا .. فانصرفت

الى بوذا .. « كل ما نحن عليه هو نتيجة لما فكرنا فيه ». ورجعت الى حيث بدأت : الى الكنيسة التى لا أستطيع أن أنضم اليها .. كل ما نحن بحاجة اليه هو أحد ينبئنا

كم هو مذهل هذا الذى نحن فيه جميعا ، وكم هو مذهل هذا العصر الذى نعيشه وقد كان موجودا دائما ، وكان يدعى الشيطان

مـــارك : قد قرات هذه الحجج كلها ، وتناقشت طول الليل ، أنا لا أستطيع أن أفعل الا ما أنا بسبيلى لفعله ..

**

يمد يده نحو علبة الثقاب ، يبدو مهتاجا تلعب هى بعلبة الثقاب ..

**

جليندا : ما الذى تنوى أن تحرقه .. ؟

مـــارك : نفسى ..

جليندا : نفسك كلها .. ؟ الخيرة والشريرة معا ؟ ..

**

يهز راسه بالايجاب ..

**

جليندا : هل تؤمن بالحياة بعد الموت ؟ ..

مـــارك : لا ..

جليندا : ولا بالله ؟ ..

مـــارك : لا ..

جليندا : لكن هؤلاء الرهبان الذين يحرقون أنفسهم يؤمنون بأن نفوسهم الخيرة ستبقى الى الابد ..

مـــارك : من السهل أن أحرق نفسى الشريرة .. لكن نفسى الخيرة هى التى تهم ، فشعلة نار فى النفايات لا تعنى شيئا ، أما حين أحرق شيئا ثمينا وجميلا ..

جليندا : انظر أى شىء ستحرقه ! . هل أنت واحد من هؤلاء المتطهرين الذين يحتقرون الجسد ؟ .. ما الذى يغذى عقلك العظيم ؟ .. ما الذى يحمله من مكان لمكان ؟ .. ما الذى يعانى حين يعانى العقل .. ؟ ما الذى تبدو عليه الالام والقرح ؟ . ما الذى يعطيك الاشارات والتحذيرات؟ مثل خادم عجوز مخلص لا يستطيع أن يتكلم لكنه يريك ما يشعر به ؟ .. يقول الامريكيون ان عليهم كسب عقول الفيتناميين وقلوبهم ، ثم يستخدمون كل وسيلة متاحة كي يحرقوا ويجرحوا الاجساد المسكينة التى تحيا فيها العقول والقلوب ، وما ستفعله هو أنك ستحرق جسدا آخر ، سترتكب بشاعة أخرى .. تضاف الى سجل القسوة والبشاعة ..

مـــارك : لا أستطيع أن أستجيب للعقل وحده ..

جليندا : مثل الحكومة فى كل من الجانبين ؟ مثـل البنتاجون وهانوى ؟ لا يمكن لاى منهما أن يستجيب للعقل وحده..

مـارك : البنتاجون هو العقل .. هذه حرب العقل .. أول حرب مثقفة ، حرب يديرها خبراء الاحصاء والطبيعة والاقتصاد والطب العقلى والتاريخ والرياضة ، حرب يديرها الخبراء فى كل شىء ، والمنظرون من كل مكان ، فأساتذة الجامعة مستشارو الرئيس ، ونحن لا نتقدم خطوة واحدة فى أى من الاتجاهين ، حتى مختلف صور البشاعة يمكن للمنطق أن يبررها ..

**

ينهض مورجان ببطء ، يتقدم بهدوء ليقترب من مارك. يبدأ تتابع الحلم

**

مورجان : أنا أتحدث عن بعض العمليات الدينامية السيكولوجية مثل صورة العدو فى المرآة ، والنبوءة التى تحقق رغبات الذات ، والمعيار المزدوج للاخلاقيات وكلها تتضح فى سلوك الامريكيين فى فيتنام ، صورة المرآة واضحة فى الطريقة التى تنظر بها كل من الولايات المتحدة والصين الى نفسها من حيث هى متعلقة بالسلام راغبة فيه ، وتنظر للاخرى من حيث هى دولة عدوانية .. فهذه الحرب فى فيتنام تفترض لنفسها طابعا ايديولوجيا شبيها بذلك الطابع الذى أحاط بالحروب القديمة المقدسة ، ولهذا معناه المنذر بالسوء ، فالناس الذين يحاربون من أجل أفكارهم ومثالياتهم نادرا ما يستسلمون نتيجة ما يقع عليهم من عقاب

**

ينسحب مورجان الى مكانه ، ويجلس ، يدخل هوج ، يحمل فى يده سنارة صيد وسلة

**

هـــوج : فى ٢٣ يونية سنة ١٩٦٦ دفعت كل ما ادخرته طول عمرى

مقابل نشر اعلان فى « التيمس » اللندنية سميته « رسالة شخصية من مستر ماتسودا » ، فأنا مواطن من اليابان ، كان الاعلان من ثلاث صفحات ، وضعت فيه تخطيطا دقيقا للجنة كما أتصورها

الجنة على الارض هى امكانية ان يعيش الناس كما يلى :
أولا : لا ضرائب ، الطعام والثياب والمأوى مكفولة مجانا ، ويتقاضى الناس مرتباتهم
ثانيا : تنتفى ـ على وجه التقريب ـ كل مصادر الشقاء عند البشر
ثالثا : لا يعانى الناس من أية عواطف أو انفعالات ..

عن الزواج : تقوم لجان الزواج بانتقاء الرجال والنساء المتشابهين . بعبارة أخرى : الرجال والنساء الذين يكون لديهم شىء مشترك فيما يتعلق بالذوق والتعليم يختارون ليصبحوا أزواجا ، يتم تعقيم العجزة والاغبياء بحكم تكوينهم

أفكار لخفض حوادث السيارات بنسبة ٩٠ ٪ .. وسائل مضادة لزيادة السرعة ولقلة السرعة ، وللزحام والاختناق ، والتجاوز ، والقيادة غير المنتبهة ، وذلك عن طريق استخدام أضواء التنبيه وأضواء السرعة ، الضوء الخاص بالسرعة يجب أن يكون على سبع درجات :

الاول : سمنى ، الثانى : أصفر ، الثالث : أخضر زرعى ، الرابع : أخضر ، الخامس : أزرق سماوى ، السادس أزرق طاووسى ، السابع : أزرق لازوردى

انا مواطن متواضع من طوكيو باليابان ، غير متعلم وغير معروف ، امرأتى تقول عنى اننى مخبول ، أفكارى عن سلام العالم تأتينى وأنا أصيد السمك وثمة شىء واحد آخر لى الحق فيه الى جانب صيد السمك هو أن أنشر اعلانا فى التيمس ، لقد ناشدت زعماء العالم أن يمنحونى سلطات كاملة لمدة ٢٤ ساعة وأنا كفيل بعد ذلك بتحقيق السلام ، واذا فشلت فاننى أقسم على أن أحرق نفسى حتى الموت

يخرج ، ثم يعود دون أدواته فيجلس مع بقية الممثلين.
ينهض بارى يطوى حشيته ويحملها نحو مارك • يبسطها.
ثم يرقد فوقها

**

بـــارى : الجميع يتكلمون عن الحرب ، هذا شيء مزعج . بالنسبة لى : أنا على طريق عام : الحرب الى جانب ، وأرض الملعب الى الجانب الاخر ، أيهما أختار ؟ بالنسبة لى : أنا أختار أرض الملعب • فأنت اذا اهتممت بالحرب اصبحت جزءا منها .. لان الاهتمام هو المشاركة . وأنت اذا أصبحت جزءا من الحرب فأنت تسهم فى زيادتها ، الملل .. الملل .. الملل .. ان صديقى وحبيبى ذهب للحـــرب كى يتخلص منى ، كان يبدو فى حلته العسكرية أكثر نشاطا وفعالية مما كان فى أى وقت ، حتى حـين كان لا يلبس شيئا على الاطلاق . وأنا أتكلم .. اذا نزعت خصـلات شعرى وبقيـــة الشعر فى وجهى لوليت مذعورا كفأر خائف .. الحمد لله لان الحياة قصيرة ، أطير من عالم الوعى غير الحقيقى الى محـراب الذهول والغيبـــوبة والامل ، أرقد فى مرسمى وأستمع الى صوت هى — فى الآسيوى . أدخن كثيرا ، أعرف مخلوقا جميلا يضـع على لسانى شراب الخوخ المثلج، لدى كاميرا ١٦ ملليمترا •• أصور نفسى ، أراقب نفسى ، أنا مراقب لنفسى

**

يبدأ فى طى حشيته مرة أخرى ••

**

الحمقى يندفعون ..
الى طرق يخشى أن يسلكها العقلاء
الرجال العقلاء لا يشتركون أبدا فى الحرب ..
لكنهم يمارسون العادة السرية بدل الحرب ..

**

يعود الى مكانه مرة أخرى ، يبسط حشيته ويرقد عليها ، بوب وبولين يدخنان ، ويتجولان حول مارك ..

بـــوب : مدير القاعة الموسيقية لم يوافقنى على أن أعزف « مصنف ١٩٦٠ رقم ٥ » قالت لى ديانا ربما كان سبب رفض مدير القاعة الموسيقية أن أعزف « مصنف ١٩٦٠ رقم ٥ » ؛ أن هذا المصنف ليس من الموسيقى ، « مصنف ١٩٦٠ رقم ٥ » هى المقطوعة التى تصاحب انطلاق الفراشـة فى ساحة العرض .. سألتها عما اذا كانت تعتقـد أن مقطوعة الفراشة هى موسيقى أقل من « مصنف ١٩٦٠ رقم ٢ » التى لا تعنى أكثر من اشعال النار فى مواجهة الجمهور . قالت لى : « نعم .. لان فى مقطوعة النار على الاقل عدة أصوات .. » ، قلت لها أننى متأكد من أن الفراشة أيضا تستطيع أن تصدر أصواتا لا بجناحيها فقط ولكن بأداء جسمها كله . وانه اذا لم نكن لنحدد درجة نعومة أو خشونة الاصوات قبل أن نسمح لها بدخول عالم الموسيقى فان مقطوعة الفراشـــة كانت موسيقى مثلها مثل مقطوعة النار تماما قالت ديانا أنها تعتقد أن الاصوات يجب أن تكون مسموعة على الاقل ، قلت لها ان هذا هو الاتجاه المألوف من جانب الانسان بوجه عام : يعتقد أن كل شىء فى العالم موجود من أجله ، وأنا لا أوافق على هذا . وقلت لها انه يبدو لى من غير الضرورى بالمرة أن يسمع أحد هذه الاصوات فلها كل الحق فى أن توجد لذاتها ..

لكن مدير القاعة الموسيقية لن يوافق على أن ألعب مقطوعة الفراشة ، وقد رأيت اليوم طفلا فى الحديقـة يجرى وقد استبد به الفزع ، خوفا من فراشة صغيرة

بـــولين : ذهب جون كيج الى احدى القاعات الموسيقية فوجد مؤلفا قد كتب فى ورقة البرنامج انه يحس فى العالم قدرا هائلا من العذاب ، وبعد العزف قال جون كيج لهذا المؤلف أنه قد استمتع بموسيقاه لكنه لا يتفق معه فى ملاحظته حول قدر العذاب فى العالم ، سأله الموسيقى : « ماذا ؟ . . ألا تعتقد أن بالعالم قدرا كافيا من العذاب ؟ » فأجاب كيج

بأنه يعتقد ان فى العالم القدر المناسب تماما، بعدها كتبت الى دينيس جونسون خطابا تسألنى فيه : « هل تعتقدين ان بالعالم قدرا كبيرا من الشر ؟ .. جون كيج يعتقد ان به القدر المناسب تماما ، فى حين أننى أعتقد أن العالم غارق فى الشر حتى أذنيه »، بعدفترة تذكرت أنلريتشارد هيولزبنك تعديلا اخر : فى احدى المحاضرات التى القاها دادا فى برلين ذكر مقولة معناها ان الحرب ليست كريهة كما ينبغى أن تكون ..

بــوب : هل من الضرورى فى العادة أن نسأل : « ومن هو جون كيج هذا ؟ » ..

**

مارك يسير مبتعدا ، يمسك بوب بذراعه

**

بــوب : أنا لست مهتما بالخير ، اذا كنت مهتما بالخير فهذا يعنى انك لا تهتم آلا بما تريده • أنا أهتم بالجديد حتى لو كان يعنى احتمال أن يكون منطويا على الشر

**

بوب يهم بالسير مبتعدا حين يأتى هنرى فيواجهه هو ومارك ..

**

هنــرى : يعتقد الآن بوجود نسق جديد وعميق ومضاد للعالم ، هذا النسق المضاد للعالم متطابق مع العالم كل التطابق ، لا من حيث أن كل جزىء مضاد يحل محل جزىء من عالمنا فقط ، بل ومن حيث هو صورة المرآة لعالمنا ينعكس فيها اتجاه تدفق الزمن . لكننا لا نعرف على التحديد حتى الآن المكان الحقيقى لهذا العالم المضاد

**

يربت على كتف بوب مواسيا •• ويعود الى حشيته ، بوب يعود كذلك الى حشيته .. ينهض كليفورد

كليفورد : الجيل الحالى ـ تحت الخامسة والعشرين ـ هـو أكثر الاجيال التى عرفها العالم حكمة وقداسة ، وعلينا بدل ان تنوح على أفراد هذا الجيل ونحط من قيمتهم ، ونلقى بهم فى السجون أن نساندهم ونصغى اليهم ثم نسير معهم .. ان الـ : ال . اس . دي أو عقار الهلوسة هو جرعة الحب فى المستقبل .

**

بولين تتحرك نحو كليفورد .

**

بولـين : ان هذا الجانب من الـ : ال . اس . دى يشار اليه عادة فى الخفاء ، لكن أحدا لم يذكره علنا من قبل .. فلماذا ؟ ..

كليفورد : أنا فى الوقت الحالى محكوم على بعقوبة لمدة ثلاثين سنة ، وهى تعنى بالنسبة لرجل فى الخامسة والاربعين نهاية حياته ، وهناك دعوى اتهام أخرى ضدى لقضية تتعلق بالماريجوانا وعقوبتها تصل الى ١٦ سنة ، وما دام ليس هناك شىء بعد منتصف العمر ومعايير الطبقة الوسطى يمكنه أن يفعل لى شيئا ، وما دام السر قد أصبح ذائعا بين الشباب فأنا أحس بحريتى فى أن أقول ماذا يفعل لى الـ : ال . اس . دى من واقع خبرتى الشخصية : أن تحس بنفسك غارقا فى مستنقع ناعم لانسجة جسمك الخاص ، يجذبك التيار بنعومة وبطء عبر ممرات مائية حمراء مظلمة ، فتطفو خلال قنوات شعرية ، ثم تسـاق

منزلقا خلال وكالات ومصانع ذات ثقوب وثغرات لا نهاية لها : تدق دقات هادئة رتيبة ، ويأتيك صوتها كصوت المضخات القادم من بعيد ، بلا توقف . وثمة لحظة مهشمة هناك عميقة داخل الحالة النفسية التى يخلقها العقار :

تحس فيها بأن جسدك والعالم من حولك قد انحلت جميعا الى موجات بيضاء متألقة متلألئة يأتيك ألقها عبر الحصاص ، دافقا نابضا وسط العوالم السفلية الشعرية الصامتة الموارة بحركة غادية ورائحة . عند هذه اللحظة يصيح متعاطى العقار غير المدرب : اننى ميت !

بولــــين : ما أهم درس يمـكن أن تقـــول انك تعلمته من خبرتك الشخصية بالـ : ال . اس . دى ؟

كليفورد : درس واحد هو الاول والاخير ، فهم ان ما هو أســـاسى لدافع الحياة نفسه هو الســؤال : « هل يجب علينا أن نمضى مع الحياة ؟ .. » وبعده تعلمت أن أقصر اهتمامى على القضايا الصارخة فقط : من الذى كتب سينـــاريو الوجود ؟ . ما الذى تتوقعه منى كل النواميس ؟ ، هل هذا العرض التكوينى عرض حى أم مسجل على شريط ؟. ومن الرقيب ؟ .. وهل نحن مقضى علينـــا بأن نبقى محاصرين تماما داخل أجهزتنا العصبية أم أننا نستطيع اقامة تواصل مع الاخر خارجها ؟ ..

بولــين : هل ستصبح مثل هذه الخبرة خبرة عالمية ، وهل يمكنها أن تحدث هذا الاثر فى الجميع ؟ ..

كليفورد : الـ : ال . اس . دى سيعين كل فرد على أن يتيقن من أنه ليس انسانا آليا مشتركا فى لعبه وموضوعا هنـاك فوق هذا الكوكب كى يدرج اسمه فى قوائم التأمين الاجتماعى ولتنسج خيوط مصيره حسب النسق : المدرسة فالجامعة فالعمل فالتأمين فترتيبات الجناز . ثم ، وداعا ، خلال الـ : ال . اس . دى سيستطيع الكائن الانسانى أن يفهم أن كل تاريخ التطور مسجل داخل جسده ، وأن التحـدى الحقيقى الذى يواجهه الكائن الانسانى هــو أن يعيـد التسليم بشروطه هو ، وأن يكتشـف ويتحسس بالتجربة كل جانب، وكل تبدل فى هذه البرية القديمة الجليلة ، فى وسع كل انسان اذن أن يصبح هو « بوذاه » الخاص ، و « أنيشتينه » الخاص ، و « جاليلوه » الخاص .

**

يخرج كليفورد ، بولين تستلقى على حشيتها ، ايان يقف على منصة وسط حطام الطائرة ..

**

ايـــان : لدى جيلنا هذا حلم ، وهو حلم قديم جداً ، لكن الآن لدينا القوة ، ولدينا الفرصة ايضا لتحويله الى حقيقة واقعة ؛ كل مساء ، قبل أن أطفىء النور لانام أسأل نفسى هــذا

السؤال · هل فعلت كل ما أستطيع من أجل توحيد هذه البلاد ؟ . هل فعلت كل ما استطيع من أجل مساعدة شعوب العالم ؟ هل فعلت الكفاية ؟ ..

**

يتجمد ايان على المنصة

**

مارك : انت تستطيع أن تعيش فى هذه البلاد تنظر الى الاعشاب والاشجار وعندئذ تتذكر فيتنام : فقد اكتشفوا طريقة يجعلون بها كل الارض جرداء حتى لا يختبىء وسطها أحد . تستطيع أن تعيش فى المدينة فتشرب أو تدخن أو تحيل ممارسة الجنس الى ساحة حرب ، حرب ممتعة فيما يبدو ، أنا مهتم بالجديد ..حتى لو كان يعنى الشىء نفسه .. فالجراح لاتفصح عن نفسها بما يكفى. وتستطيع حتى أن تطير الى جزيرة فى اليونان .. حينئذ تذكر أن الشمس أيضا سلاح ، فقد قرأت فى أخبار العلم الامريكى أنهم قد درسوا كيف يمكن احداث ثقب فى الغلاف الجوى بحيث تستطيع الاشعة الشمسية أن تدفع شعبا بأكمله الى الجنون ، وأنت تستطيع أن تذهب بالفعل الى فيتنام وتلتقط عدة صور للاجساد المحترقة ثم تبيع ارتيابك الشريف « الملحق الاحد » ، ارتيابك الشريف . .اتجاه نقى طاهر الذيل .. لكنك لا تدفع شيئا الى بعيد .. وأنت لست مخطئا فى الوقت نفسه فهذه الحرب لن توقفها الكلمات ، ولن يوقفها العقل والمنطق. .. فعل واحد وراء حدود الكلمات ، وراء حدود العقل ، هو ما يكتسب المعنى

جليندا : وهذا ما تفعله أنت .. أن تحرق نفسك؟ ماذا تظن؟..(*)

**

صمت · يقترب مارك من علبة الثقاب · تبعد جليندا يدها ..

(*) فى سطور قليلة تناقش جليندا مارك حول « معاداة السامية » ، كتمهيد لمناقشة اتجاهه نحو الزنوج . ثم الامريكيين — فى محاولة للكشف عن احتمال أن تكون النزعة الى كراهية الامريكيين نزعة عنصرية جديدة . وقد آثرنا حذف هذه السطور القليلة (المترجم)

جليندا : افرض اننى قلت : « احرقوا الزنوج » ، ماذا ترى ؟..
مارك : رجالا معصوبى العيون ..
جليندا : استمر ..
مارك : وتدا مقاما كى يشد اليه رجل .. أيادى موثقة خلف الظهور ، النار ..
جليندا : أين هى النار ؟..
مارك : حول قدميه ، يرتفع لهيبها لأعلى ..
جليندا : ثم ؟..
مارك : تحرق رجليه
جليندا : ثم ؟..

**

مارك يرتبك

**

مارك : تمسك النار بثيابه ..
جليندا : ثم ؟ ..

**

صمت

**

جليندا : افرض أنت قلت لك « أمريكى » ، ماذا ترى ؟ ..
مارك : أرى .. سيارة ..
جليندا : استمر ..
مارك : سيارة فارهة ، طويلة .. كأنها بيت .. ولوحة معدنية من لوحات الارقام مكتوب عليها : « كاليفورنيا أو جاردن ستيت » ، وهى سوداء وتلمع بمعدن كثير ..
جليندا : ومن بالسيارة ؟ ..
مارك : لا أحد بالسيارة ..
جليندا : وأين ذهبوا ؟ ..
مارك : ذهبوا يتسوقون
جليندا : ماذا يشترون ؟ ..
مارك : كل شىء .. انهم يشترون كل شىء ..

جنينــدا : ماذا ؟ ..
مــارك : يشترون العاديات والعقاقير والصور والحب ..
جليندا : ماذا ؟..
مــارك : وانت وأنا ..
جليندا : ما الفرق بين الاتجاه المعادى للامريكية والاتجاه المعــادى للسامية ؟..

**

مارك لا يجيب ..

**

الامريكيون أغنياء كاليهود ، أقوياء كالزنوج ، ليس لديهم أنوف معقوفة أو جلود ملونة، لكن لديهم صوتا، وهومفيد هذا الصوت ، وهذا ما تستطيع أن تميزهم به ، لابد أن تكون يهوديا ، لكن أى واحد يستطيع أن يميز الامريكى . فانت تستطيع أن تسمعهم قادمين ثم تراهــم يرفعون الاسعار ، وأنت حين تكون مناهضــا للامريكيــين فأنك تستمع بكل لذة الكراهية العنصرية ، وتقنع نفسك أنك فى صف السلام فى الوقت نفسه

مــارك : الا نستطيع أن نقف فى وجوههم ونثبت لهم !اننا لا يمكن أن نباع ؟ ..

**

يهبط ايان من على المنصة ، ويهمهم بمقاطع جمــل تتقاطع مع خطاب مارك ..

**

مــارك : واننا لا نخشى الفقر ، واننــا لا نريد من يدافع عنا ... لحسابنا .. ان هذا ممكن . على الاقل سيجعلنا نحس شيئا من الاعتزاز والكبرياء بأنفسنا اننا نستطيع أن نصبح أمة من .. من .. اننا سرعان ما نفقد كل شىء يمكن أن نعيش من أجله لن يصبح لنا شىء .. لا أستطيع أن أجد طريقة أجعل بها الشعب الانجليزى يريد ان ..
ايــان : لا شىء نريده ، نحن لا نريد شيئا ، قد أوضحنا كل شىء

... اوضحنا كل شيء بطرق كثيرة أكثر مما استطيع أن اقول لكم .. اننا نكتشف ونتحسس .. وحتى هذا اليوم سنستمر فى طريقنا لا احد يعـرف الى متى يمكن ان يستمر هذا .. وكم يتطلب من الجهد والتضحية .. لا أحد يستطيع أن يقول لك ..

**

ايان يسير متطوحا نحو مقدمة الخشبة ثم يجمد .. يبدو انه تقدم فى العمر كثيرا خلال هذه الخطوات القليلة

**

جليـنـدا : « لمارك » ، قد تخلص الالمان من اليهود .. وكل ماخسروه قلة من الموسيقيين والفلاسفة والعلماء والفنانين وبعض المبادىء ، اما اذا قهرنا الامريكيين فسنخسر المال والامن . كان هتلر احمق ... فما جدوى أن تجعل غرف الغاز لمن تكره ؟ .. من الافضل أن تبقى على الشيء الذى تكرهه ، فانه اذا ظل موجودا .. سيحفظك أنت ..

مـــارك : اننى أسأل .. أسأل أبى وأمى واختى ، ولأننى أسـألهم فهم يعتقدون اننى مريض ، وأسأل صديقى فأفقده ، لاننى أسـأل . وأنا أسـأل الفتاة التى معى فى الفراش .. قد مارسنا الحب .. وأقول لها : لماذا بعد ان مارسنا الحب بهذه العذوبة تتركيننى وفى رأسى سؤال ــ يدق ويدق ويدق ؟ .. لا أراها .. لكننى أستطيع أن أحدس أنها خائفة ، وهى تفكر : ماذا يريد منى أكثر ؟.. يا يسوع .. قد منحته جسدى ، وغسلت له الاطباق ، هل « هذا » هو ما يريده ؟ .. لا ليس هذا . مادام لديه فهو ليس فى داخلى .. أهبط الى الشوارع فأدور فيها وأعتقد أنها ستكشف لى عن اجابة السؤال

جليـنـدا : ذهبت السيدة الانجليزية اللطيفة الشفوق الى اسبانيا . رأت بعض الصبية يمسكون بنورس كسير الجنـــاح . وكانوا يتقاذفونه فيما بينهم من يد ليد ، ثم ربطوا خيطا

فى رجله وحاولوا أن يطيروه كما يصنعون بطائرة ورقية، ذهبت اليهم وحاولت أن تأخذ النورس من بين أيديهم ؛ كان الطائر لعبتهم فلم يسلموه لها ، فدفعت لهم عشر بيزات وأخذت الطائر منهم ، ثم رجعت لحجرتها وحاولت أن تطبب جناحه الكسير ، فى المساء نفسه جاء الى الفندق عشرون صبيا وقد امسك كل بنورس وكسر جناحه ؛ كانوا يريدون أن يبيعوها كل طائر بعشر بيزات . هذا ما يحدث حين تذهب لبلاد أخرى تحمل أفكارك ومبادئك وفضولك .. « هل تريد فتيات ؟.. لدينا الفتيات . هل تريد جثثا ؟ .. لدينا الجثث . هل تريد خطبا ؟ .. سنعد لك الخطب .. »

**

مارك لم يسمعها ..

**

مـــارك : أتعرفون ماذا أرى الان.. سهلا رماديا ، رماديا ،منبسطا ؛ تتناثر فوقه بيوت قليلة تبدو على الافق الفسيح ، وأنا أقف على ارتفاع ، وأرى كل ألوان الاشـــياء تمضى فى طريقها : رجالا يحرثون الارض ، وفيالق جنود تتحرك .. وشاحنات تفرغ حمولاتها ، هنا وهناك بيت يحترق أو سفينة تفرق .. لكن هذا كله ، هذا كله شىء قليل مما أرى .. فاذا رفعت عينى عن هذا المثال رأيت العمـالقة والالوان والمسافات والارتفاعات والاعماق .. أستطيع أن أستلقى على سجادة فلا أرى سوى عالم صغير يمتد بوصات قليلة تحت أنفى ، وأظل ساعات اعتقد ان ما أراه حقيقى ثم .. تنتهى اللعبة ، أطرحها على الارض ؛ ثم أقف ، فأرجع لحجمى الهائل ، وأجد أن كل الاشكال التى بدت لى حقيقية . كل الابقار والاغنام التى رأيتها فى الحقول تصبح فجأة أشياء يمكن أن توضع فى صندوق صغير ، واستطيع أن أنحيها جانبا دون أن يخالجنى .. دون أن يخالجنى .. الحزن ..

جينـــدا : أود أن أقول لهم : دعونا نتكلم قليلا أيضا . ليس كثيرا ، قليلا فقط . شيئا يتجاوز حدود : « هل قرأت .. هل رأيت .. هل قابلت .. هل سمعت ؟... » شيئا يتجاوز هذا الحد لنرى ماذا يمكن أن نفعل بعد .. ان هذا قد يهدم كل البناء الذى نعيش فيه ، قد يهدم اللغة كلها ..
الناس لا تحترق فى فيتنام فقط ، نحن نحترق هنا .
نحترق كل بين ذراعى الاخر ..

**

تخضل عيناها بالدمع .. يدخل كليفورد وهو يلبس ثياب البوذيين الصفراء التى كان يلبســـها فى بداية المسرحية ..

**

كليفورد : افتحوا عيونكم جيدا واستيقظوا ، انظروا الى الاشياء كما هى فلن تصدمكم . لان المســـتيقظ لا تفزعه كوابيس الليل ، والذى لا يعرف أن الحبل حبل لن يخيل اليه انه حية فيرتجف هلعا ، لا فى السماء ولا وسط المحيط ولا فى كهوف الجبال ولا فى لهيب النار .. يستطيع انسان أن يجد ملاذا من خطيئته .. فلنحيا حياتنا بسعادة اذن دون أن نكره هؤلاء الذين يكرهوننــا ، فلنعش متحررين من الكراهية بين الناس الـــكارهين .. فلنعش ســـعداء متحررين من الالم بين المتألمين فلنعش متحـــررين من الكروب وسط الناس المثقلى القلوب بالاحزان ، فلنعش سعداء متحـــررين من الهـــم وسط المهمومين ، فلنعش متحررين من الشوق بين من تضنيهم الاشواق ، فلنعش فى سعادة اذن رغم اننا لا نقول عن شىء انه لنا ، اننــا نصبح حينئذ آلهة مشرقة تقتات على السعادة ..

**

كليفورد يجلس

**

جلينـــدا : اننا نستطيع أن نعيش معا فقراء وسعداء ، نستطيع أن

نطلى الجدران بأنفسنا ونصنع اثاثنا من خشب الصناديق ، نستطيع أن نشرب أرخص الانبذة ونأكل أبسط الطعام ونقرأ « الاخوة كرامازوف » ، نستطيع أن نمارس الحب ثلاث مرات فى الليلة الواحدة ونشترى اسطوانة لماهلر (١) نجد فيها صدى لما فى أنفسنا ثم يحدث الخطأ الذى هوليس بالضبط خطأ .. فيجعلنى حبلى . سنتحدث عن هذا الامر طويلا ونقرأ سيمون دى بوفوار ، ثم نتزوج فى مكتب تسجيل العقود ونتجاهل الاحتفال بأن نذهب ونحن نلبس « البلوجينز » ، وسنقول اننا لا نحس أى اختلاف بعد الزواج فلنزعم لانفسنا أننا لا نزال نعيش الخطيئة .. وننسى تماما اننا حين كنا نعيش الخطيئة كنا نرفض كل الرفض أن ندعوها خطيئة ، وسنقرأ الكتب المبسطة فى علم نفس الطفل كى ننشئه تنشئة تقدمية ، وستلتزم بوظيفة تلجئك دوما للاعتذار والمهادنة .. وطفل آخر سيأتى ، حتى تتجنب الشعور بأنك مجرد بورجوازى فستقرأ كل ما تخرجه دور النشر التقدمية ونعرف بعض من يتعاطون الـ . اس . دى . ستكسب مزيدا من المال وستنتقل الى بيت تحيطه حديقة وتشترى سيارة صغيرة وتخوض صراعات عنيفة حول التعليم . سنتحول الى أنماط : سنملك خمسة أسرة وعشرين بطانية ، وخمسة عشر زوجا من الملاءات ، وثلاجة أوتوماتيكية تصنع الثلج وتمنع ذوبان الماء ، وخلاط كهربى وآلة طحن ، وغسالة كهربية بمجفف دوار ، ومكنسة كهربية ، وآلة تصوير سينمائية ، وزوجان من زحافات التزحلق على الجليد ، وأربعة عشر فرشاة مختلفة الانواع والاستخدام ومماسح وسلال ومكانس

---

(١) : ماهلر « جوستاف ماهلر » « ١٨٦٠ ـ ١٩١١ » : مؤلف موسيقى نمسوى ، مدير اوبرا فيينا من ١٨٩٧ الى ١٩٠٧ حين أجبره خصومه على الاستقالة . لعب دورا هاما فى النهوض بالاوبرا فى فيينا ، وكتب ـ بالاضافة لعدد هائل من الاغنيات والكونشرتوات ـ تسع سيمفونيات لاوركسترا يبلغ عدد عازفيها ضعف العدد المألوف للاوركسترا .

وخمسمائة وستين صندوقا ، وحوامل للاقلام ومنافض للسجائر ، وأدوات للزينة ، وعدد وآلات ، ولعب وثياب ، وأجهزة لتوفير جهد العمل ، وقصص وروايات كوميدية ، وتسعمائة كتاب ، واربعون ياردة مربعة من السجاد الفاخر يعلوه الزبد ، واثنتين وسبعين اسطوانة جديدة . نادرا ما تدور ، وسنقرر ان نكثر من الخروج ، نلبس ونتزين ونتهيأ للذهاب الى المسرح ، وسنختار بالطبع بعض العروض التجريبية الجدليه اليسارية ونحن نغادر المسرح سنقول لا مانحسه بالضبط لكن هذه الكلمات اللائقة الذكية الحساسة التى يقولها الاخرون . وسيكون حديثنا دائما من الكتب والافلام والمسرحيات لا من أنفسنا . سنخاف من كلمات مثل : « هذا حسن » و« ذاك قبيح » ، وهكذا .. حين نكون فى ريب سنقول عن الشيء انه « مدهش » كى نخفى عدم يقيننا ، ستربكنا بسهولة مشاعرنا الطبيعية فنضعها بين الاقواس أو نقولها بلهجة مازحة متطرفة ، وفى حفلاتنا يسلك الجميع مسلكنا ، وهكذا تصبح الحياة مريحه تماما - اذا استبعدنا التمرينات على فترات متباعدة ، لضمائرنا حول مشكلة مثل روديسيا أو فيتنام - وستموت قبلى لان النساء يعمرن طويلا .. وسيضعنى الاولاد فى بيوت المسنين أو يبنوا لى مقصورة خلوية ، وثمة مدينة انجليزية لطيفة على ساحل البحر يعيش فيها عدد كبير من المسنين معا : زودهم بعض محبى الخير بصفارات وبطاقات صغيرة مكتوب عليها « النجدة » حتى اذا جاء أحدهم الموت وأحس اقترابه نفخ صفارته ووضع بطاقته فى النافذة ..

**

تنهض مارجى وتسير متجاوزة مارك وجليندا .. موسيقى خفيفة ..

**

أغنية : أية شكاوى ؟

مارجى : ابنتى كيت تقوم بالتدريس فى الولايات .. تنتقل من مدينة لمدينة تلقى محاضراتها ..

تدفع دولاراتها ثمن لذاتها ..
وتدرس تأثير ييتس على ييتس ..
ما الخطأ فى هذا ؟
هذا ما أرادت دائما أن تكونه
ما الخطأ فى هذا ؟
اذا كان هذا ما جعلها سعيدة
اذا كان هذا ما يبقيها سعيدة
وهذا كل ما يعنينى من الامر ؟

●

ابنى ديف يقول انه يعيش فى كهف
مختبئا من طائرات أم . أى . خمسة
جندى هارب ، غارق فى سكره دائما
ينضم للمظاهرات أحيانا كى يهذى هذيانا مألوفا ..
ما الخطأ فى هذا ؟
هذا ما أراد دائما أن يكونه
ما الخطأ فى هذا ؟
اذا كان هذا ما جعله سعيدا
اذا كان هذا ما يبقيه سعيدا
وهذا كل ما يعنينى من الامر ..

●

ابنى « ييت » به شوق دائم للهزيمة ..
لا يترك أبدا نور الشفق والغسق
لديه اكتئاب قديم مزمن
ويظل دائما يبتلع الاقراص المهدئة ..
ما الخطأ فى هذا ؟ ..
هذا ما أراد دائما أن يكونه
ما الخطأ فى هذا ؟ ..
اذا كان هذا ما جعله سعيدا ..
اذا كان هذا ما يبقيه سعيدا ..
وهذا كل ما يعنينى من الامر

●

ابنى « توم » يرسل خطابات مسلية
من حيث يجعلون الالتهاب الرئوى

علميا ، مرعبا وفظيعا ..
يستولد الجراثيم لتوضع فى قنابل الموت الاسود ..
ما الخطأ فى هذا ؟ ..
هذا ما أراد دائما أن يكونه
ما الخطأ فى هذا ؟

اذا كان هذا ما جعله سعيدا ..
اذا كان هذا ما يبقيه سعيدا ..
وهذا ما يعنينى فى الامر

**

السطور الاخيرة من الشعر تقال فقط .. يمكن تغيير اسم الممثلة فيما يلى :

**

مارجى : اسمى مارجى لورانس ، ظللنا وقتا طويلا نعمل ،وقضيتنا هذه الحرب فى فيتنام ، وقد استمتعنا كثيرا خلال مراحل العمل .. و ..

الجميع : وهذا ما أردنا دائما أن نكونه
فما الخطأ فى هذا ؟ ..
اذا كان هذا ما جعلنا سعداء ..
اذا كان هذا ما يبقينا سعداء ..
وهذا كل ما يعنيكم من الامر ..

**

مارجى تمضى بعيدا وتجلس ، ينهض جون ويتقدم ليقف بين مارك وجليندا ..

جون : أريد منكم أن تفهموا بوضوح ما الذى تحتجون ضده حين تتظاهرون أمام سفارتنا فمعظم احتجاجاتكم تقوم على سوء فهم لما تدور حوله هذه الحرب . وهذا شىء بالغ البساطة : فيتنام هى الآن بؤرة الصراع بين الدول الكبرى . اننا نعتقد ان طريقتنا فى الحياة تفضل طريقة الشيوعيين ، وما دام هذا اعتقادنا فلا يمكن أن نسمح للشيوعيين بالاستيلاء على **فيتنام الجنوبية** .

من الممكن ان تقوموا باحتجاج اخلاقى ضد نشاطنا ، وتستطيعوا القول أنه من الخطأ أن تقتل دولتان كبيرتان شعبا من الابرياء ، لكنكم اذا قلتم هذا فأنتم فى الحقيقة تدينون كل شىء قامت عليه المجتمعات المتحضرة خلال الالفى سنة الاخيرة ، فالتاريخ هو تاريخ الصراع بين الدول الكبرى ، وأطراف كل صراع كانوا يعتقدون دائما أنهم على حق ، والقيمة الاخلاقية الوحيدة هى أن تحقق أهدافك بأقل قدر ممكن من العذاب .

وأمريكا هى أقوى دولة عرفها تاريخ العالم ، ونحن نعتقد أننا نستخدم قوتنا الهائلة بحرص أكثر مما فعلت اى دولة اخرى فى تاريخ العالم . وهذا جوهر موقفنا الاخلاقى . قد ترفضون قضيتنا ، لكنكم حين تفعلون هذا فأنكم ترفضون مبدأ صراع القوى نفسه ، أنتم تنكرون على أى انسان حقه فى استخدام القوة كى يحقق اهدافا يعتقد أنها حق ، وأنتم تقولون : « سأحقق أهدافى بنبذ مبدأ صراع القوى .. » ولكن من المحتمل الا تحققوا اهدافكم على الاطلاق .

اذا بدأ أى جنرال فى التساؤل عن الأوامر التى يصدرها فما الذى سيوقف الضباط دون مساءلة الجنرالات ؟ .. وما الذى سيوقف الجنود دون مساءلة الضباط ؟ .. مثل هذا اللون من الفوضى قد يؤدى الى الغاء الحرب .. لكن اذا كنتم مستعدين لتقبل النتائج الكاملة لهذه الفوضى ـ فمن حقكم أن تحاكمونى ..

حين تحتجون يجب أن يقر فى عقولكم أنكم لا تحتجون ضد الحرب فى فيتنام ولكن ضد مفهوم المجتمع القائم على النظام . اذا كان هذا ما تريدونه فسأظل اصغى اليكم باحترام طالما انكم تصغون الى .. وسأظل دائما على خلاف معكم ..

***

يستدير جون ويعود الى حشيته فيجلس فوقها ..

جليندا : هكذا اذن تنهون الحرب فى فيتنام ؟ واين ستكون الحرب آلتالية ؟ فى تايلاند ام شيلى أم آلاباما ؟ ان كل الاشياء التى تحتاجونها جاهزة ومخبأة بعناية فى مخازن الامدادات والتموين : السلك والحبل والغاز وصناديق الورق المقوى التى تستخدم توابيت فى حالات الضرورة ٠

أنا اريدها أن تصبح اسوأ مما هي عليه ٠ وأريدها أن تأتى الى هنا ، أريد أن اراها فى بيت آنجليزى بين اقمشة المفروشات آلمنقوشة بالزهور وثياب اطفال المدارس ومقود الكلب المعلق على حائط الصالة ، أريد أن ندخل التجربة

وأن نختبر ، أريد أن يأتى لاجىء يطرق باب المنزل ويقول: خبئونى اذآ خبأناه قد نقتل رميا بالرصاص ، واذا أنكرناه وتركناه وطردناه فيجب ان نظل نذكر هذا لآخر الزمان ،

أود أن أعرف من من معارفى المهذبين هؤلاء سيتعاون ومن سيخون ومن سيبوح بالسر قبل غيره تحت وطأة التعذيب ومن سيقوم بالتعذيب ٠ أود أن أشم رائحة الامعاء التى تضطرب بالخوف مع روائح صباح الاحد آلانجليزى تختلط فيه رائحة خمر الجن بشرائح اللحم المحمر ، أود أن أرى كلبا آنجليزيا يلعب فى مرجة انجليـــــزية بجزء من يد

محترقة ٠ أود أن أرى قنبلة من قنابل الغاز تلقى على معرض انجليزى للزهور وسيدآتنا الانجليزيات الانيقات يزحفن الواحدة فى مؤخرة الاخرى ، كل هذا أود أن يصوره المصورون ويعرضه السينمائيون حتى يمكن لانسان بعيد عنا كل البعد ، يجلس آمنا مطمئنا فى مقعده الوثير ، أن

يرانا وقد فقدنا عزة نفوسنا ، ان كل من لا يهتم بمـــا يحدث — ما دآم ما يحدث يحدث بعيدا عن مرمى نظره — يريد لما يحدث أن يستمر ، لانه مادام هذا يفعل بانسان

آخر فهم يعتقدون أنه لن يفعل بهم ، وما دام انسان آخر هو الذى يفعله فهـذا أفضل من أن يفعلوه بأنفسهم ٠ كل انسان ماتت روحه يريد لهذا الذى يحدث أن يستمر ٠٠ لان هذا الموت من الافضل أن يشاركك فيه انسان آخر ٠٠ كل انسان يرجىء المسألة كلها ليوم الحساب يريد

لما يحدث أن يستمر ، كل انسان يريد أن يحدث التغيير .. ولا يتغير هو يريد لما يحدث أن يستمر • واذا كان لا يعنيك ان يتحول العالم الى رماد لان حياتك رماد فأنت تريد لهذا الذى يحدث أن يستمر .. وهذا هو السبب فى أن ما يحدث مستمر • وهذا هو السبب فى أن الامور تزداد سوءا ، وهذا هو السبب فى أن الكارثة قادمة لا شك •

أنا أريدها .. أنت تريدها .. هم يريدونها .. مثل الشهوة مستمرة لاننا نريدها ، ومثل الشهوة ايضا .. فاننا نرتاب فى معظم هؤلاء الـــذين يصـــيحون بأعلى أصواتهم : « لا » •

**

تنهار جليندا ، ينهض ايان ويمشى متثاقلا عبر الخشبة

**

ايـــان : ربما كنا نعيش هذا العصر الذى سبقت النبوءة به منذ سنوات طويلة مضت حين قيل : « سأدعو السماء والارض كى تثبت هذا اليوم ضدك : وضعت أمامك الحياة والموت، البركة واللعنة فاخترت الحياة لتعيش أنت وذريتك » •

**

يتوقف فجأة ، محدقا نحو الجمهور يدخل بوب يحمل طاولة صغيرة عليها صندوق أسود ، يلبس قفازا أسود ، يفتح غطاء الصندوق ويطلق عدة فراشات بيض تحلق فى سماء القاعة وفوق الممثلين • يعود ليضع يده داخـــل الصندوق ويأخذ فراشة أو فراشتين ويطلقهما فى الهواء، ثم يخرج من جيبه ولاعة يشعلها ، ويأخذ فراشة أخرى يضعها فى اللهب .. لا تعرف ما اذا كانت فراشة حقيقية أم زائفة • وحين ينتهى احتراق الفراشة يجمد تماما . كما يجمد كل الممثلين • تضاء أنوار الصالة • يظـــل الممثلون جميعا بلا حراك حتى يغادره آخر من بالمسرح •

النهـــاية

الرواية الأولى

ألبرت هنت

فى مقالة نشرتها « التيمس » بعد عدة أسابيع من بداية عرض US تساءل ارفنج واردل ــ فى معرض تدليله على أن الفصل الثانى من العرض ينفى كل شيء قيل فى الفصل الاول ــ عما اذا كان أعضاء الفريق الذين قدموا US كانوا يعرفون من البداية خطة بيتربروك . وهذا يعنى ضمنا أن بروك نفسه كانت لديه خطة رئيسية يعرفها بوضوح منذ البداية وأنه ــ فقط ــ جمع حوله عددا من الموهوبين يمكن أن يستخدمهم لتنفيذ أهدافه .

وهذا افتراض يبدو معقولا للوهلة الاولى .. ومن المؤكد ــ كما عرف ارفنج واردل أن بعض أعضاء الفريق قد أحسوا عند اكتمال الشكل النهائى للمسرحية أن هذا لم يكن ما قصدوا اليه من البداية

أما القول بأن بروك قد خطط لكل شيء من البداية فهو يسيء فهم العملية الكاملة التى تمت بها US. US قبل كل شيء كانت عملية بحث ، عملية بحث جماعى قامت به جماعة من الناس أرادت أن تقول شيئا صادقا وشريفا ومفيدا عن قضية أحسوا بأنها فائقة الاهمية .. هي قضية الحرب فى فيتنام .. وربما لم تكن الكلمة التى قيلت أخيرا على مسرح الاولدفيتش فى ١٣ أكتوبر سنة ١٩٦٦ مرضية لنا جميعا ، لكنها الكلمة التى نمت من خلال العمل نفسه ، ولم تكن كلمة نبتت فى عقل بيتربروك قبل أن يبدأ العمل . والامكانيات التى تفتح الطريق اليها هذه العملية أهم من الحدود التى يضعها العرض الذى قدم فى النهاية .

بالنسبة لى بدأت العملية فى لقاء بينى وبين بروك وريفز ببيت بروك فى ديسمبر الماضى . فى هذا اللقاء تحدث بروك عن موضوعين كانا يشغلانه : الموضوع الاول هو حرب فيتنام ، لا الحرب ذاتها بقدر ما يمكن أن نفعل نحن فى لندن بالنسبة لها ، وكيف يمكن للوعى بهذه

الحرب أن يؤثر فى حياتنا ، وتحدث بهـذا الصدد على نحو عملى ومباشر :

« اذا قلت انك مهتم بفيتنام فكيف يمكن أن يؤثر هذا على الطريقة التى تقضى بها يومك ؟ »

وأشار الى المثلة المعروفة التى تقسم ساعات يومها : كذا ساعة للبروفات وكذا ساعة للكتابة لاعضاء البرلمان أو الصحف أو المشاركة فى تنظيم المظاهرات

هل يكفى هذا فى الاستجابة لما يحدث فى فيتنام ؟ .. واذا كانت الاجابة بالنفى .. فما الذى يكفى ؟ ..

السؤال الثانى الذى كان يشغل بروك ذلك المساء كان سـؤالا بسيطا من « الباجا فادجيتا » : (١) هل أحارب ؟ .. سـؤال واضح البساطة كما يبدو ، ولانه كذلك فمن السهل ـ على المطلق ـ الايجاب بالنفى ..

لكن الحقيقة كانت أن الناس فى فيتنام يحاربون ، وأن يغسل المرء يديه ببساطة مطلقا بعض التصوزات الاخـلاقية بدا لنا جميعا لعبة غير مجدية . ويظل السؤال قائما ولا مفر من مواجهته . كان بروك يريد أن يخلق عرضا يثير هـذا السؤال من خلال الحرب فى فيتنام

وأحس بروك كذلك بأن العرض يجب أن يصاغ على نحو جديد ـ فقراءته للنصوص المقدمة الى« الرويال شيكسبير كمبانى » وصلت به للاقتناع بأنه ما من كاتب مسرحى فرد ، يعمل وحده ، يبدو قادرا فى هذه اللحظة ، على أن يتناول قضية مباشرة بمثل هذا الحجم ، وقال بروك أن الظروف ربما لم تكن مواتية ، فلم يكن لشيكسبير ان يبزغ الا فى وقت استطاعت فيه جماعات الكتاب والممثلين أن تخلق

(١) الباجا فادجيتا : « Bhagavadgita » ـ جزء من ملحمة هندية هى « المهابهاراتا » ـ واحدة من أعظم الملاحم الكلاسيكية فى تاريخ العالم ، والباجافادجيتا حوار يدور بين « أرجونا » بطل الملحمة و « كريشنا » صديقه وقائد مركبته الذى تتجسد فيه روح الاله . ويدور الحوار فى أكثر اللحظات درامية : فى الحرب الدامية بين الاخوة ، وعلى أبواب المعركة الفاصلة يهم أرجونا بالانسحاب حين يتصور اخوته الذين لابد أن يقتلهم قبل ان يتحقق النصر ، لكن كريشنا يناقشه ويقنعه بخوض المعركة . من هنا مضمون السـؤال الذى يطـرحه بروك : هل أقاتل أم انسحب ؟ ..

(المترجم)

لغة مشتركة . لم تكن مهمتنا اذن أن نقدم « الملك لير » ، بل أن نبدأ عملية صك لغة جديدة ، فالمسرح يجب أن يكون قادرا على أن يقول كلمة فى قضية جوهرية مثل حرب فيتنام ، وليس ثمة نص مكتوب يمكن أن يكون مقنعا على نحو من الانحاء ، وفى عملنا معا يجب أن نحاول خلق الظروف التى تجعل كتابة هذا النص أمرا ممكنا .

(من المهم أن أؤكد هنا انه كان مفهوما لنا جميعا ـ حتى فى هذه المرحلة المبكرة من مراحل العمل ، اننا يجب أن نعتمد اعتمادا أساسيا على كاتب ، وكنا نأمل فى أن كاتبا ـ له وزنه ـ يجب أن يشترك فى العملية من بدايتها ، فيسهم فى مناقشاتنا وينكب على العمل فى المواد التى يجب أن نزوده بها ، ويجلس أخيرا الى الممثلين ويكتشف المادة أثناء البروفات) .

ومنذ طرح بروك مشكلة اللغة قضينا وقتا نناقش مشكلة أن هذا العرض يجب أن يقدم على خشبة الاولدفيتش ، وقلت أن التواصل الحقيقى لا يمكن أن يتم الا داخل جماعة لها اهتمام أصيل ، ولا أعتقد أن هذه الجماعة موجودة فى جمهور الاولدفيتش ، وأجاب بروك انه يعى هذا وأن هذه احدى المشاكل الرئيسية التى تعين علينا أن نواجهها . وأضاف أن مبنى الاولدفيتش نفسه ، وهو مبنى متخلف ثقيل الظل ـ يقسم المتفرجين حتى فى ترتيب مقاعدهم ـ سيزيد من الصعوبات التى نواجهها . لكنه يعتقد ـ فى وجه هذه المساوىء ـ انه يجب أن نضع فى الاعتبار أهمية الاولدفيتش كفرقة ذات سمعة دولية حين تقول كلمة عن حرب فيتنام على خشبة واحد من أهم مسرحين لها .. كان من الاهمية البالغة لنا أن يقدم هذا الحدث على خشبة الاولدفيتش ، وعلنا ، هذه هى الظروف التى كان علينا أن نعمل فى اطارها .

فى نهاية اللقاء أعاد بروك طرح السؤال الذى طرحه فى البداية : «اذا قلت اننى أهتم بحرب فيتنام .. فكيف يمكن لهذا أن يؤثر فى الطريقة التى أقضى بها وقتى ؟ .. » كان هذا هو السؤال الذى ظل يتردد بأشكال كثيرة طوال الاشهر العشرة التالية .

لشهر أو شهرين بعد ذلك كان بروك فى نيويورك مع عرض مادا /صاد .. ولم نلتق به بعد ذلك الا فى الربيع التالى .. فى الوقت

نفسه كان ثمة فريق قد بدأ يتكون .. التقيت أنا وريفز بأندريان ميتشيل الذى وافق على الانضمام الينا واقترح اسم ريتشارد بيسلى ـ الذى ألف موسيقى الاغانى التى كتبها ميشيل لمادا/صاد ـ ليكون واحدا من الفريق . وبيسلى أمريكى كما هو معروف ،وبصرف النظر عن امتيازه كمؤلف موسيقى فلا شك فى أن لديه ما يمكن أن يسهم به فى الفكرة العامة للعرض . كذلك وافق تشارلس وود على أن ينضم للفريق ليكون الكاتب الرئيسى للعرض .. وبدأنا قراءة كل ما وقعت عليه أيدينا عن فيتنام . وحتى ذلك الوقت كانت أهم الوثائق التى وقعنا عليها هى تقارير « لجنة فولبرايت للشهادات الخاصة بفيتنام والصين » . جاءت فيها عبارة مدهشة فى شهادة أحد الشهود الرئيسيين .. قال دكتور فيربانك : « ان الامم العظيمة على الجانبين تطارد احلامها المتبادلة .. » ، وبدأنا نرى الحرب من حيث هى تصادم الاحلام ، وكان ثمة حوارية قصيرة فى هذه الشهادات لخصت أكثر فأكثر استجاباتنا نحو هذه المادة :

سيناتور فولبرايت : ليست لدى أى منا أية اجابة .. أخشى أن يكون الامر هكذا .

جنرال جريفيث : أخشى ألا تكون لدى اجابة .

سيناتور فولبرايت : ليست لدى أى منا آية اجابة .

والذى انبعث ـ قبل كل شىء ـ من هذه الشهادات هو الوعى المتزايد ـ فى الولايات المتحدة ـ بأن السلطة قد انزلقت الى موقف يأسف له معظم الناس لكن احدا لا يستطيع أن يرى سبيل الخروج منه .. فى هذه الظروف كان وقوفنا على الخشبة لنطلب ببساطة انسحاب الامريكيين من فيتنام شيئا أحمق وغير كاف . كان علينا ـ بطريقة ما ـ أن نواجه الموقف الحقيقى والمعقد .. وكان السؤال هو كيف ؟ .

درسنا مسرح « الواقعة » ، وتحدثنا طويلا عن وسائل دمج الجمهور بالعرض دمجا فيزيقيا .. وفى براد فورد ، مع طلبة كلية الفنون ابتكرنا لعبة طقسية : من السقف تدلى تكوين قائم على دعامتين متصالبتين بحيث يمكن أن يدور مع أقل لمسة ، ومن هذا التكوين تدلت دمى لاجسام ، وعلب صفيحية تحدث ضجة كبيرة ،

وبالونات ملونة بألوان زاهية ، وشرائح من أوراق اللف الوردية ، وأنابيب من المطاط . واذا اصطدم بهذا التكوين اى انسان دار دورات متعاقبة وصعد وهبط فى حركة صاخبة ملونة

خلال هذا التكوين الذى لا يكف عن الحركة كان على خمسة لاعبين أن يجدوا طريقهم وقد وضعوا حقائب للاوراق فوق رءوسهم .

وجعلتهم هذه الحقائب يبدون فى شكل خرافى وبلا حول ، اثنان منهم يحملان أعلاما زرقاء ، اثنان يحملان اعلاما حمراء ، أما الخامس فيضع على رأسه حقيبة مزينة بالشرائط والنجوم ويحمل فى يده عصا . هذا اللاعب صاحب العصا يطارد الاخرين ، وحين يمسك بأحدهم يرفع عصاه ، حينذاك ينفخ الحكم ــ الذى يلبس جاكتة رسمية سوداء ــ فى صفارته ، فيتجمد الاخرون جميعا . يتقدم الحكم فيسحب الضحية الى مقدمة الخشبة ، تطفأ الانوار وتنطلق صرخة فتاة من خلال مكبر الصوت ، وحين تضاء الانوار تتمدد جثة الضحية تحمل علمها فى مقدمة الخشبة ، ويندفع لاعب آخر من خلال باب خلفى ليأخذ مكانه ، ولا يعرف الصائد أبدا ما اذا كانت ضحيته ترفع علما أحمر أو أزرق .

كانت هذه اللعبة حدثا دراميا كاملا فى ذاته ، واستطاعت حقائب الورق أن تجد طريقها الى البروفات بل وحتى ليلة العرض الاولى ، والتتابع المتبادل للضجة والصمت رسم معالم نسق استمر حتى النهاية .

وكلما زاد حجم المادة التى جمعناها كلما بدت لنا جموحا لا يمكن ترويضها . ذات مساء استمعت مع ميتشيل وريفيز الى أغنيتين شعبيتين أمريكيتين عن فيتنام . لم تكن أغنيات بطولة مثل اغنية بارى سادلر : « ضع جناحين فضيتين حول صدر ولدى .. ليكون واحدا من افضل من انجبتهم امريكا .. » ، ولم تكن كذلك اغنيات مسرفة فى العاطفية لدرجة لا يمكن احتمالها مثل هذه الترنيمة التى يغنيها جندى عليه أن يرحل لفيتنام خلال ساعة واحدة أمام سرير طفله ، عاطفية هذا صحيح .. لكنها حقيقية لدرجة مفزعة .. كنا نصارع فى رءوسنا صور هذا الجندى الذى يودع طفله النائم ، ثم يطير الى فيتنام تصحبه كلمات خطاب جونسون فى « اوماها » عن

الاولاد الذين يموتون من أجل الحرية فى غابات فيتنام ومستنقعاتها ، تدوى فى أذنيه ، ثم يدوس على زناد يحول أطفال رجال آخرين الى جثث محترقة : من المستحيل أن تفكر فى مثل هذا الرجل دون أن تراه — أيضا — ضحية .. واذا كان الجندى نفسه ضحية فالى أى حد يمكننا أن نعتبر جونسون أيضا ضحية واقعة فى أسر الظروف وأسر تصديق بلاغته الشخصية ؟ لكن الضحية كان أيضا هو القاتل .. من هنا يمكننا أن نفهم حجة ريتشارد بيسلى فى أننا لا يمكن أن نستبعد بارى سادلر عن طريق مجرد السخرية به . على الاقل : لقد كان فى فيتنام .

وأعاد بيسلى قوله هذا فى أول لقاء لنا مع بروك بعد عودته من نيويورك . وشرح بروك للفريق كله تصوره لما يمكن للمسرح أن يقوم به . كنا جميعا مشبعين بمسلسلات الصحف والتقارير وبرامج التليفزيون ، ولم تعد لمظاهر الرعب أى تأثير علينا .. اما فى المسرح — فى موقف له طابع الطقوس — فلعله يمكننا أن نرى مظاهر الرعب فى ضوء جديد . ولم يكن أحد يتوقع للعرض أن يؤدى الى تغيير أحد ..

ولكن ربما كان ثمة شىء فى العرض يستطيع أن يزرع بذرة التغيير بحيث أن الناس اذا واجهوا المواقف بعد ذلك فقد يبدأون الاستجابة لها على نحو مختلف . واذا استطاع العرض أن يزرع بذرة التغيير فى قلب واحد أو اثنين فسيكون جديرا بالعناء . قال بروك : « ذات مساء من أكتوبر سيكون لنا لقاء بالجمهور .. هذا اللقاء هو الشىء الذى يجب أن نضعه فى أذهاننا » ..

وخلال هذا الاجتماع تحدث بروك عن رجل كان يعتقد أنه فيتنام . وبعده بعدة أيام جاء تشارلس وود وقد كتب خطبة : « أعتقد أننى فيتنام . وقد عرفت مرة شخصا يظن نفسه غانا ، وآخر يحسب نفسه فرنسا ، لكننى لن أقول كلمة واحدة حتى أمسك بالحشرة الضارة . حينئذ سأصحب كواحد من ذوى البيريهات الخضر ، نحن نسميهم البيريهات .. » ، وبدأنا نفهم الطريقة التى يمكن أن يؤدى خلالها هذا التغيير الداخلى الى وجود مادة صالحة للعمل .

ورغم ذلك ، فحين بدأت البروفات فى يوليو كان يبدو أننا لا نعرف سوى قليل من المادة التى يمكن أن تمثل : صفحتين أو ثلاثا من

الافكار التى استطعنا أن نسجلها ، ووثيقة عن الحرب يقرؤها الممثلون بصوت مرتفع ، وبضع خطب كتبها تشارلس وود ، وقصيدة كتبها ميتشيل • لكن العمل بدأ يتحرك — من الان فصاعدا — ليتخذ بعدا آخر •• فى الماضى كنا نقرأ ونتكلم ، والان كان على الممثلين أن يصوغوا هذه الافكار صياغة جماعية من خلال التعبير عنها بأجسادهم . وللاسابيع القليلة التالية كان الممثلون هم مركز العمل كله •

٤ يوليو :

التقينا جميعا بالممثلين للمرة الاولى فى قاعة رقص « بورن وهولنجسورث » فى جورستريت . وكان معظم الممثلين قد سبق لهم أن عملوا مع بروك اما فى مسرح القسوة او فى مادا/ صاد • وكان بعضهم قد سافر مع عرض مادا/ صاد الى نيويورك •

ولابد أن اللقاء الاول كان تجربة مثيرة لاعصاب الممثلين ، وزادت ترتيبات مكان الاجتماع الامور سوءا ، فقد جلس الممثلون فى شبه دائرة يواجهون مائدة طويلة ، وجلسنا نحن الى المائدة نواجه الممثلين ولا شك فى اننا ظهرنا بمظهر المتطفلين الذين يقتحمون خصوصية البروفات ، ولا شك فى أن مظهرنا ازداد سوءا بعد ذلك حين بدأنا نوجه الاسئلة الى الممثلين عن بعض القطع المرتجلة التى أدوها أمامنا •

بدأ بروك بأن أعاد وجهة نظره فى المسرح الذى يمكنه أن يتكلم بطريقة مباشرة عن قضية معاصرة . فالمسرح يجب أن يكون له صوته الذى يسمع بجدية واهتمام ، والمشكلة هى أن الناس قد وجدت من السهل أن تستبعد كل ما رأته على أنه مجرد نجاح مسرحى آخر ، وتحدث عن مادا/صاد •• فقد استطاع جمهورها — خاصة فى لندن — أن يتحاشى التضمينات السياسية للمسرحية ، واذا قدر لرجل مثل هارولد ويلسون أن يراها فلاشك فى أنه كان يستطيع أن يهرب منها الى وصفها بأنها عمل مسرحى مثير ، اننا نريد أن نقدم كلمة لا يستطيع رجل مثل جونسون أو ويلسون أن ينحيها عن طريقه •

لكننا فى الوقت نفسه يجب أن نعى — ومنذ البداية — أننا لا نحاول تقديم عرض تسجيلى عن فيتنام . ان علينا أن نحاول تفحص اتجاهاتنا نحن ، وأن نسأل انفسنا — قدر الامكان — كيف تؤثر الحرب

الفيتنامية فينا نحن ، ومضى بروك فى حديثه فأشار الى الصورة التى تطارده دائما وبوضوح لراهب بوذى يحرق نفسه حتى الموت احتجاجا على الحرب .. وسأل بروك : ما الذى يمكن أن يدفع الانسان لمثل هذا الفعل ؟ وكيف يمكن لنا أن نبدأ فهم شمول هذا الالتزام ؟ . .

وحين وصف بروك هذا المشهد بحيوية وتأثير بدأ الممثلون فجأة فى الاهتمام .. كان واضحا ان هذا الموضوع له جذوره فى تفكير بروك كصورة أساسية فى المسرحية .

وأكد بروك ان الممثلين لن يكتبوا المسرحية ، وشرح مراحل العمل: سيرتجل الممثلون حول المادة التى نقدمها لهم ، ثم يتناول كاتب مسرحى ما ارتجله الممثلون ليعيد تشكيله ، ودعا بروك الممثلين أيضا كى يعدوا المادة لأنفسهم ، وقد فعل بعضهم ذلك .

وقرب نهاية حديثه أشار بروك الى أن مارا / صاد كانت تحمل دلالة سياسية فى نيويورك اكثر مما كانت تحمل فى لندن . فى نيويورك ربط الناس ــ على نحو أكثر مباشرة ــ بينها وبين الازمة السياسية التى تحيط بهم والتى تعتبر حرب فيتنام واحدا من أعراضها . ثم طلب بروك الى الممثلين الذين كانوا معه فى نيويورك أن يذكروا أوجه الاختلاف التى احسوها بين الحياة فى أمريكا والحياة فى انجلترا

وبعد تردد طويل ، شرع الممثلون يتكلمون ، ومنذ بدأوا حديثهم وهم يطلقون تعميمات واسعة ، قالوا جميعا انهم أحسوا بأن الحياة الامريكية تتسم بالعنف اكثر من الحياة فى انجلترا لكن الامثلة التى ضربوها للتدليل على وجهة النظر هذه لم تكن مقنعة ، فقد اقتصر حديثهم على صياح سائقى التاكسى والعنف الذى أحسوه ليلا فى الشوارع . لكن لم يكن ثمة شىء خاص أو محدد . . وعلى وجه اليقين لم يكن ثمة شىء اكثر عنفا مما يمكن للمرء أن يراه فى شوارع مدينة فى الشمال مثل « براد فورد » ، وأحسسنا بأن الممثلين لم تكن لهم خبرات كثيرة بالعنف خارج المسرح

ومن آخر القاعة جاء صوت أمريكى يقص حكاية عن صديق له أسماه فريد ، وكان نجارا .. كان ينتقل فى الريف عن طريق الركوب فى عربات الآخرين ، وفى بعض الطريق التقطه عدة رجال فى عربتهم . ثم أنزلوه منها ، وضربوه ضربا مبرحا وقيدوه الى جذع شجرة .

كانوا يتحدثون طـــول الوقت عن فيتنام ٠٠ لكن واحدا منهم لم يكن فيها على الاطلاق ٠ كانوا فقط يمثلون أسطورة ٠ صاحب الصـــوت الامريكى كان جوتشيكين ، واحدا من مخرجى « المسرح المفتوح » فى أمريكا ، رجع الى « الرويال كورت » بعد سنة بمسرحية « صيحـــة الانتصار الامريكى » ، وكان قد جاء للعمل معنا عدة أسابيع ٠

وبعد الغداء انقسم الممثلون الى جماعتين ، حوالى اثنى عشر فى كل جماعة ، ظلت الجماعة الاولى تواصل عملها فى الارتجال حول ما أثارته مناقشات الصباح ، فطلب الى كل ممثل أن يختار شخصية أمريكى يعرفه ، ويقدمه لنا فى موقف خلال اضراب عمال النقل فى عيد الميلاد الماضى ، وكانت بعض هذه المرتجلات ممتعة فى الحقيقة ، ولـــكن حين سئل الممثلون عمن يكونون كانت الاجابات على قدر كبير من الغموض فالتفاصيل البسيطة مثـــل السن وملامح الشـــخصية التى يمثلها كل منهم لم تكن واضحة لهم ، واخيرا بدأ استخدام منهج يقوم على الاسطورة الشعبية ، فطلب الى الممثلين ان يشخصوا نجوم السينما فى مواقف نمطية ، فرانك سيناترا يحاول أن يلتقط ديبى رينولدز من « السنترال بارك » ، هنرى فوندا ـ كاب ـ ودين مارتن ـ كابن ـ يصلان الى البيت ثملين ليجدا الباب موصدا ، فيحاول مارتن أن يكسر الباب على حين يبحث فوندا عن دبوس شعر ليعالج فتحـــه ، جون واين ينتظر عودة ابنته الى البيت فى ساعة متأخرة من الليل ، ويطرد الفتى الذى يصحبها خارج البيت ، ثم يزمجـــر فى وجهها ٠ « ها انت ؟ .. هه ؟ .. ألم أقل لك مرارا أنه ولد فارغ » ..

كانت هذه المشاهد اكثر دقـــة من سابقاتها ، وكان واضحـــا أن الممثلين هنا كانوا على ألفة بالاسطورة الشعبيةأكثر مما كانوا بالنسبة للمحاتهم السطحية عن الحياة الامريكية وفى نفس الوقت أحسسنا نوعا من الوصاية الشاحبة تحيط بهذا العمل ، أحسسنا بأننا اذا شئنـــا مزيدا من فهم ما يحدث فى المجتمع الامريكى فلابد لنا من نظرة أكثر عمقا الى ثقافته . لكن هذه المرتجلات الاولى استطاعت أن تقدم لنا خيطا يمكن أن نتبعه فى العمل ، ويمكن للتجربة أن تزداد عمقا وغنى خلال البروفات ٠

وفى نهاية اليوم قال بروك أن لديه فكرة مشهد ختامى للعرض : بعد كل الصخب والعنف تعقب فترة صمت .. ووسط هذا الصمت يمكن أن تنطلق فراشة .

٥ يوليو :

فى مناقشاتنا قبل البروفات تحدثنا طويلا عن مسرح « الواقعة »، وكان هدف كثير من هذه الوقائع كما فحصناها هو أن تصدم الناس بلون جديد من الوان الوعى ــ وهذا شيء كان العرض الذى نحاوله يهدف اليه ــ وفى الوقت نفسه كنا نعرف أننا مادمنا نتحرك فى ظروف تقديم عرض على الاولدفيتش قد يستمر زمنا فاننا بحاجة لشيء أكثر تماسكا ــ من حيث البناء ــ من مسرح الواقعة ، كنا نحاول ــ على نحو ما ــ أن نمسك مباشرة الواقعة فى حين يظل لدينا بناء درامى محدد.

وفى اليوم الثانى للبروفات قدم للممثلين مقال طويل منشور فى مجلة « تولين دراما ريفيو » عن مسرح الواقعة . قرأه بوب لويد وجليندا جاكسون بصوت عال :

« ولم يكن مدير العرض الموسيقى ليسمح لى بأن أعزف مصنفة ١٩٦٠ رقم ٥ وقالت ديانا ربما كان السبب فى أن مدير العرض لم يكن ليسمح لى بأن أعزف مصنفة ١٩٦٠ رقم ٥ هو أنه يعتقد أنها ليست من الموسيقى . ومصنفة ١٩٦٠ رقم ٥ هى المقطوعة التى تنطلق فيها الفراشة فى ساحة العرض » .

وكانت المقالة تشمل مناقشة حول الشر : « كتبت الى دينيس جونسون : هل تعتقد ان ثمة شرا كثيرا فى العالم ؟ .. جون كيج يعتقد أن الشر فى العالم بالقدر المناسب تماما لكننى أعتقد أن العالم يسبح وسط الشرور » .

وبعد القراءة ناقش الممثلون المقال .. وكانت المناقشة أفضل من مناقشة اليوم السابق .. فقد كان ثمة شيء ملموس ومحدد يركزون عليه . ولكن مرة أخرى كان ثمة شعور خفيف بالوصاية ــ كما لو كانت الجماعة قد « فعلت » الواقعة بالفعل وهى الان بسبيل تقديمها ــ فقد أحس معظمهم أن المقال يدور فى دورات ثقافية محكمة الاغلاق ، وان هؤلاء الناس الذين تشير اليهم كانوا ــ الى حد ما ــ

أشبه بأسماك الزينة فى أحواض زجاجية .. تسبح وتسبح ،ويمسك بعضها بذيول بعض فى دوائر مغلقة ، حاولنا أن نحلل الارتباط القائم بين المجتمع الذى أنتج مسرح الواقعة وهذا الذى يدور فى فيتنام .

عند هذه النقطة توقفنا . ففيما عدا هذه المقولة الواضحة بأن « مسرح الواقعة وحرب فيتنام هما معا » نتاج المجتمع الامريكى لم نستطع أن نقول شيئا . وفجأة وقف مايك ويليامز ليعرض أمامنا نوع اللغة المسرحية التى كنا نبحث عنها ، لقد استطاع أن يجد الصورة التى تضع هذا الارتباط على نحو عيانى وملموس : وضع مقعدا فوق مائدة ، وكوم بعض الاوراق ، وأمسك فى يده بعود ثقاب ، ثم بدأ يقرأ ببساطة هادئة الكلمات التى تصاحب مشهد اطلاق الفراشة ، وتسلق المقعد وصور نفسه كما لو كان يصب البترول على جسمه ، وحين وصل الى الكلمات التى تقول : « أليس مدهشا انكم تصغون الى شىء تنظرون اليه دائما كشىء عادى ومألوف ؟ » أشعل الثقاب .

لقد استطاعت هذه الصورة أن تدفع العالمين معا الى الامام بحيث يصبح كل منهما تعليقا على الاخر .. انها لم تقل ببساطة أن تمثيل الوقائع كان أمرا هينا وان الواقعة الحقيقية هى أن تحترق حتى الموت .. فقد عبرت الكلمات عن تقديم القربان كحدث درامى ، ووضع الحدث الكلمات فى سياق أكثر شمولا . كان مثل هذا النوع من الكشف هو الذى نبحث عنه حين وضعنا المادة الخاصة بمسرح الواقعة وسط المناقشة الدائرة حول الاحتراق فى منتصف الفصل الثانى من العرض النهائى . لكننى لا أعتقد أننا حققنا شيئا فى مثل وضوح ونفاذ هذا الفعل الذى اكتشفناه فجأة فى مرحلة مبكرة .

٦ ، ٧ ، ٨ يوليو :

فى اليومين الاولين كان بحثنا عن لغة مسرحية يتطور فى اتجاهات رئيسية ثلاثة : كشف الحياة الامريكية من خلال ارتجالات طبيعية ، وفحص الاساطير الشعبية الامريكية ، ومحاولة التعرف على العالم الثقافى لمسرح الواقعة . وخلال بقية أيام الاسبوع الاول كان البحث فى هذه الاتجاهات الثلاثة يزداد تقدما .

استمر هؤلاء الذين كانوا فى أمريكا فى ابتكار مشاهد عادية : امرأة تتحدث حديثا مكشوفا الى صديق فى التليفون فيقتحم الخط موظف من « مكتب التحقيقات الفيدرالى » يطلب اليها أن تذهب فورا الى المكتب للتحقيق معها . أدت هذا الدور ممثلة لم تذهب الى أمريكا.

أستاذ فى الطب العقلى يعود الى شقته ذات مساء فيجد بها فتـــاة لا يعرفها ولم تسبق له رؤيتها على الاطلاق

وكانت هذه المشاهد مفيدة من حيث أنها كشفت للممثلين بسرعة قلة ما يعرفونه بالفعل عن الحياة الامريكية . وذات أمسية جاءت سيدة أمريكية كانت تقيم فى نفس الفندق مع جوتشيكين ، وعلقت على ما رأته . لم تكن تعليقاتها ذات فائدة لكن الممثلين كانوا يراقبونها بعناية أثناء حديثها ، وكان واضحا أن ايقاع نسق حديثها كله مختلف تماما عن أى شىء استطاع الممثلون أن يقدموه فى هذه المرحلة من العمل .

واتخذ فحص الاسطورة الامريكية شكل مزيد من الارتجالات عن مشاهد السينما ، ومحاولة تمثيل الاعلانات ، ودراســـة مسلسلات الرعب الكوميدية ..

وكانت الصعوبات واضحة . فالممثلون قد اعتادوا أن يفكروا داخل اطار « الشخصية » وحين طلب اليهم أن يقدموا اعلانا ضد التدخين أسرفوا جميعا فى تقديم التفاصيل التى ضاع فى حشدها الهــدف الرئيسى من الاعلان . كانت الوسيلة الفنية التى نبحث عنهـا هى تماما عكس الطريقة التى اعتادوا استخدامها ، فقــد كان المألوف بالنسبة لهم أن يأخذوا هيكل العظام العارى فى النص ثم يكسونه بالشخصية . والان طلب اليهم أن يسقطوا كل تفصيل يمكن أن يباعد بينهم وبين مقولة واحدة ، واضحة ورئيسية .

وانبعثت مشاكل ممــاثلة حين انتقلنـــــا الى مسلسلات الرعب الكوميدية . فقد طلب الى الممثلين أن يتحولوا الى « وحوش » وبعد عدة أيام من بدء العمل استطاع ايان هوج أن يقلب نفسه الى مخلوق سماه « مصاص الدم الشرير » كان جسده ينتفخ ، ورأسه مطوح الى الوراء . وعروق رقبته الغليظة نافرة ، وذراعاه متوترتان ، ثم يطلق صرخة طويلة لا تميز فيها كلمة . ظهرت هذه الصورة مرتين

فى العرض النهائى : خلال نمرة أصرعوا « الفيت ـ كونج » ، ثم أخيرا فى الفارة الجوية

وكانت الحاجة الى اكتشاف لغة جديدة للاداء يمليها الشكل الذى كنا نتجه نحوه . فقد أحسسنا جميعا طول مراحل العمل بأن المادة التى بين أيدينا أكثر تعقيدا مما يسمح بتطويرها داخل الاطر التقليدية للحكاية والشخصية : فقد كان ثمة عناصر كثيرة ، وكان لابد أن نصبح قادرين على دخول العالم الذى تتخذ فيه القرارات السياسية . والضغوط الثقافية التى تؤثر على اتخاذ هذه القرارات ، والمدى الذى تؤثر فيه هذه القرارات على أناس مجهولين لا نعرفهم ، وكان علينا أن نقيم تيمات تربط بين هذه العوالم المختلفة . ولا يمكن تحقيق هذا الا بالخيال الطلق المتدفق ، ومن خلال ممثلين قادرين على الحركة السريعة الى الامام والى الخلف بين أساليب عديدة ومختلفة فى الاداء . وحيث أن تدريب الممثلين فى المسرح الانجليزى محدود ويتركز معظمه حول اداء « الشخصية » فقد كان على الممثلين أن يبدأوا بعسر وألم منذ البداية ، وكان ما نحاوله بادى الصعوبة : كنا نحاول أن نستكشف صورا من خلال اداء الممثلين ورغم هذا كان على الممثلين أن يتعلموا وسائل فنية جديدة وأساسية قبل أن تنبعث هذه الصور ، وقضى الممثلون عدة ساعات يتدربون على تمرين « بريختى » فيغنون عدة سطور بالتبادل من « ملك ونيسيلاس الطيب » ..

تتراوح السطور من أداء سيناترا الى كاروزو ، ومن كاروزو الى ميك جاجر ، وعلى حين كان بعض الممثلين يجاهدون لاداء الاغنية كان بعضهم الآخر يحاولون اكتشاف وسائل الاستجابة للعنف البدنى دون أن يصيبهم أذى ..

أما العمل بالنسبة لمسرح الواقعة فقد استطاع أن ينجز أكثر المهام اكتمالا خلال هذا الاسبوع . فقد لعبت جماعة من الممثلين دور جماعة من مثقفى نيويورك يحاولون تقديم مسرح الواقعة ، ولم يستطيعوا ابدا أن يصلوا الى هذه الواقعة . ومن خلال فشلهم استطاعوا أن يقتنصوا صورة : جماعة من الناس يناضلون ضد قصورهم الخاص . كانت صورة سطحية ، ولم تكن منصفه للطاقة الخلاقة التى تتدفق فى مسرح الواقعة الناجح ، لكنها كانت صحيحة،

صحيحة بقدر ما تعكس العجز والعزلة داخل الجماعة . لكن القيود فرضت مرة أخرى حين طلب اليهم بروك أن ينقلوا هذا المشهد الى حجرة المعيشة فى بيت انجليزى بعد ظهر يوم أحد ، وكانت النتيجة هى الوصول الى كليشيه عام وسخيف .

وعلى حين كان الممثلون يناضلون ضد صعوباتهم الداخلية كنا نحن نواجه مشاكلنا الخاصة بنا ، فلم يكن تشارلس وود قد استطاع أن يحضر البروفات حتى هذه المرحلة ، وبعدها بقليـل .. انصرف عن العمل كله ، ومن هذه الفترة حتى اكتمل شكل الفصل الاول تماما كنا بدون الكاتب المسرحى المدرب الذى كنا معتمدين عليه اعتمـادا كبيرا .. وكان هذا الاعتبار ـ لا « الخطة المكتملة » لدى بيتربروك ـ هو الذى أثر تأثيرا حاسما على الشكل النهائى للعرض .

١١ يوليو :

وزادت حدة المشاكل التى كانت واضحة فى العمل المبدئى حـول الثقافة الشعبية حين التفت بروك الى الحرب فطلب الى الممثلين أن يقدموا مشاهدهم الارتجالية حول استجاباتهم لغارة جوية . فزحف الممثلون جماعات على أرضية قاعة الرقص فى اتجاهات مختلفة تعبر عن الالم ، وتدحرج بعضهم على الارض ، وحاول بعضهم الآخر تحريك سيقانهم دون جدوى ، وأصيب البعض بالعمى ، وحملت فتاة طفلها الميت بين ذراعيها .

وبعد فترة أوقف بروك هذه التدريبات وبدأ من جديد .. أقام الممثلون قرية فيتنامية ، ووجدوا العمل الذى يمكنهم أن يؤدوه ، وألقى بروك مقعدا .. كاشارة بدء الغارة الجوية ، فترك الممثلون ما بأيديهم وتكوموا على الارض وهم ينشجون ، وحين انتهت الغارة بدأوا يزحفون عبر القاعة من جديد .

حدثت حادثة صغيرة لفتت الانتباه الى دقة هذا العمل . فى بداية احدى الغارات كاد المقعد يلقيـــه بروك يصيب احـد الممثلين ، فاستجاب الممثل استجابة تلقائية فنكص واجفل على نحـو غريزى ليتفادى الالم الحقيقى . وحين أخطأه المقعد عاد مرة أخرى يتصنع أنه قروى فيتنامى ..

بالنسبة لى ، أثارت هذه التجربة نسقا كاملا من الاسئلة لم أجد اجابة عنها ولا اعتقد انني سأجد . فقد قال بروك مرارا اننا لابد أن نجد ـ على نحو من الانحاء ـ لغة جديدة للتواصل غير استجاباتنا الميتة لمسلسلات الصحف والافلام التسجيلية فى التليفزيون . ولكن :

كيف يستطيع هؤلاء الممثلون أن يبدأوا مباراة مع هؤلاء الاطفال الذين تتحول وجوههم الى كتل هلامية محترقة ؟ .. كل مالدينا لنقدمه فى هذا العرض هو نحن ، نحن فى لندن ، الذين لاتحترق أجسادنا باللهب

المتخثر المنصهر . اننا ـ « أو الممثلين بالاحرى » ، لانستطيع أن نتصنع اننا قرويون نضرب بالقنابل على نحو مقنع . كل مانستطيعه هو أن نواجه جمهورا معينا فى ليلة معينة بأجسادنا نحن غير المحترقة .

وما يمكن توصيله فى النهاية سيأتى ـ لا من خلال التقليـد البارع لمظاهر الالم ـ ولكن من خلال هذه المواجهة نفسها ، الى هذا الحد سيتحول كل أداء الى واقعة . ان هذا الجفـول من جانب الممثل

بعيدا عن المقعد الساقط عليه قال لى ذلك الصباح شيئا عن فيتنام أبلغ من كل تقليد الممثلين لقسمات العذاب . ان نوعية المباشرة هذه هى ما يجب علينا أن نبحث عنه .

وفى محاولة من جانب بروك لتفادى الحاجة الى خلق غارة جوية « حقيقية » حاول أن يجرى هذا المشهد بين ستارتين فى موقف مسرحى ، فطلب الى الممثلين أن يتصوروا أنهم مواطنـون من فيتنام

جاءوا الى القرية من أجل بث الدعاية ، وهم يحاولون أن يجمعوا الفيتناميين حول العمل ضد الوجود الامريكى ، وكان على الممثل أن يعبر عن استجابته للغارة الجوية بحركة واحدة يؤديها فى الوقت الذى يجتاز فيه المسافة بين الستارتين .

كانت الستارتان تحصران فيما بينهما خشبة مسرح صغيرة يبلغ اتساعها حوالى ستة أقدام يعبرها الممثلون واحدا بعد الآخر .

كانوا يزحفون ، ويتحركون كالعميان ، وينشجون ، لكن واحدا منهم لم يستطع أن يجد الحركة الملائمة التى يمكن أن تكون دلالة الفعل ، كانوا لايزالون أقرب الى الممثلين الذين يتصنعون تمثيل جراح

« حقيقية » ، كانت المشكلة هى نفس المشكلة التى واجهتهم قبل ثلاثة أيام حين كانوا يحاولون تقديم نماذج الاعلانات .

بعد ظهر اليوم نفسه ، كانت هناك بادرة من نوع المواجهة التى يجب أن تكون فى المسرح . جاء راهب فيتنامى من «فيهارا هامستيد» ليتحدث الى الفريق حول الاتجاهات السياسية للبوذيين . كان رجلا هادئا رقيقا ضئيلا يبدو على وشك البكاء فى أى وقت ، تحدث عن مأساة فيتنام وعن عذاب شعبها وعن الرعب الذى يسببه القصف الجوى ، وحاول أن يشرح الاسباب التى تدفع ببعض البوذيين الى احراق أنفسهم احتجاجا على العنف ، فربط بين هذا العمل وبين المعتنقات البوذية .

ولفترة طويلة ، ظل الجميع يصغون اليه فى هدوء . ويبدو أن الجميع كانوا يحسون بأنه هش الى درجة لاتسمح بتوجيه الاسئلة اليه ، وأخيرا جرؤ أحدهم وسأله : ألا يخاف اذا انسحب الامريكيون واستولى الفيت ــ كونج على السلطة أن يضطهدوا البوذيين ؟ . فأجاب بأنه لا أحد يطالب بانسحاب الامريكيين ، هم يطالبونهم فقط بأن يخوضوا الحرب بانسانية أكثر ، وبأن يسمحوا للبوذيين باقامة حكومة شعبية . فسأله واحد : ولكن أليس البوذيون ضد القتال ؟.. وطرح آخر أمامه سؤال بروك : وأنت .. هل تقاتل ؟ ..

فأجاب الراهب بأنه هو شخصيا لن يقاتل ، فهو راهب ، والقتال ليس عمل الرهبان بل عمل الجنود .

فجأة اتجهت مشاعر العداء من الممثلين نحوه . فقد اعتقدوا فى البداية أنه سيقدم لهم شيئا جديدا ، ثم تبينوا ألا شىء لديه . وبسرعة فقد الجميع اهتمامهم به . ودار نقاش مفكك بين الراهب وبين بوذى انجليزى حول بعض النقاط المتعمقة فى العقيدة البوذية ، ثم انتهت الجلسة الى عزف بعض الموسيقى الفيتنامية الشعبية .

وبدا أن كل فرد كان يعى وجود المأساة ، لكن الجميع ــ مثل السناتور فولبرايت والجنرال جريفيث ــ لم تكن لديهم اجابة السؤال .

١٢ يوليو :

فى اليوم السابق حاول الممثلون التواصل خلال تمثيل غارة جوية ،

وفى هذه الجلسة بدأنا نستكشف امكانية استخدام المادة الوثائقية المباشرة .

أعد ريفز وثيقة طويلة تحدد الخطوط العامة لتاريخ الحرب الفيتنامية من وجهة النظر الامريكية فى معظمها ، وقضينا الصباح فى قراءتها بصوت مرتفع ، واستغرق هذا العمل حوالى الساعتين . قدمت الوثيقة للممثلين كما هائلا من المعلومات المفيدة ، وأوضحت لهم المدى الكامل لوجهة النظر الامريكية ، وأقبل الممثلون على هذا العمل بجدية لكنهم أحسوا بالضجر رغم ذلك .

وكان بروك قد تحدث بالفعل حول حدود هذا الشكل من أشكال التواصل ، وأعد قصيدة بيتر فايس عن معسكرات الاعتقال فى مسرحيته « التحقيق » لقراءة عطلة نهاية الاسبوع وتم هذا العمل بجدية كاملة ، وقد أعد بيتر فايس مادته على نحو درامى أكثر مما فعلنا نحن بهذه الوثيقة بطبيعة الحال . لكن بروك أحس بأن ماتم الوصول اليه هذا المساء كله فى النهاية ــ هو اكتشاف أن الجمهور يمكن أن يتقبل البشاعة كشىء يبعث على الضجر . وقال انك تصدم فى الدقائق العشرين الاولى ، بعدها تبدأ فى الشعور بالضجر ، ثم تنتظر نهاية برنامج الرعب بصبر نافد ، ونحن لن نستطيع أن نتواصل مع جمهور الاولدفيتش على هذا النحو . (وعلى أى حال فقد قال أيضا ــ وبحق ــ انه بالنسبة لمثل هذا العرض فلن نجد جمهورا نتواصل معه) .

ولكن بروك بدأ ــ بعد القراءة ــ يتحسس امكانيات صياغة هذه المادة التسجيلية داخل أطر اللغة التى نبحث عنها . فبدأ العمل مع ايان هوج فى كلمات ومقاطع من خطاب جونسون فى أوماها . غير هوج من عمر المتحدث فجعله مرة كبيرا كما لو كانت كلمات رجل محتضر ، ومرة صغيرا كى تصبح الكلمات أكثر وضوحا وحدة . وأخيرا حاول أن يقرأها كما لو كانت مشهدا من أحد أعمال بيكيت فقرأ الكلمات كما لو كانت قد قيلت منذ ثلاثمائة سنة . وجاءت عبارات الخطاب فى النهاية قوية واضحة : « والآن ... اختاروا نوع الحياة التى يجب أن تحيوها .. » .

واكتشف بروك طريقة للتواصل مع المادة التى كان يعتقد أنها ــ بذاتها ــ غير درامية على الاطلاق .

من ١٣ الى ١٩ يوليو :

للمرة الاولى ، كشف بروك عن الطريقة التى كان يفكر بها فى عديد من العناصر المختلفة : فبدأ بسيناريو رعب كوميدى كتبه ميتشيل بعنوان « الرجل المصارع » (Zappman) فبدأ عمله بتقسيم القصة الى مشاهد قصيرة ثم بدأ يدخل اليها عناصر أخرى . كانت الجماعة فى البداية عددا من الامريكيين يرتجلون « واقعة » ثم انتقلوا الى التدريب على تمثيل جراح غارة جوية وبعدها المشهد الاول من العرض الكوميدى ، وفى نهاية هذا المشهد ، وايان هوج مستلق على الارض ــ ميتا ــ بدأ يؤدى جزءا من خطاب جونسون عن المجتمع العظيم بصوت رجل عجوز ، ثم رجع المشهد مرة اخرى لتمثيل الجراح ، ثم المشهد الثانى من العرض الكوميدى / بوب لويد «يصرع» الفيت ــ كونج ، ثم يتحول لكنيدى ، هذا المزج بين العناصر المختلفة سيصبح جزءا هاما من نسق US.

وفى الوقت نفسه استمر العمل فى المادة الامريكية ، فحاولت جماعة صغيرة قراءة قصيدة جينسبرج «Wichita Vortex Sutra» ثم مشهد ارتجالى جديد هو الحالم العظيم «The Great Musterpator» نسج حول شخصية أندى وارهول «Andy Warhol» . وكانت جماعة ثانية تحاول تقديم مشهد ارتجالى عن عاصفة ، وجماعة ثالثة شرعت فى التخطيط لتقديم « واقعة » . خلال هذه التدريبات كانت اللغة الاساسية تتشكل وتحدد . لكن بقيت ثمة مشكلة كبيرة لم تكن نقترب منها : كيف يمكننا أن نقول شيئا عن ثقافة فلاحين فى حين أن أحدا منا لايعرف عنها شيئا على الاطلاق ؟ هل كنا لنطلب الى الممثلين أن يقلدوا فلاحى فيتنام .. تقليدا رديئا أغلب الظن ؟ .. ألم يكن هذا يشير مرة أخرى للحقيقة الاساسية وهى أن مادتنا الحقيقية تتمثل فى هؤلاء الممثلين الذين يواجهون هذا الجمهور فى مسرح الاولدفيتش ؟ ... وأن لغتنا بالتالى يجب أن تكون معتمدة على هذه الحقيقة الوجودية ؟ ..

٢٠ يوليو :

وفى محاولة للاقتراب من تصوير الفيتناميين بدأ الممثلون عملا حول اسطورة فيتنامية ، حكاية البعوضة ، حول فلاح مجتهـد فى عمله استسلمت زوجته الكسول لاغراء تاجر غنى فتحولت لبعوضة .

وحاول الممثلون تقديم القصة فى أداء صامت بسـيط لكن النتيجة كانت شيئا كئيبا وخجولا فى الوقت نفسه .

ودعونا رجلا صينيا هو شـيانج لو ـ كانت له بعض الخـبرة بالمسرح الصينى ليراقب الممثلين وهم يؤدون هذه الحكاية .

بدأ بتصحيح بعض الاخطـاء الاساسية : فهـكذا تطبخ الفلاحة الفيتنامية الأرز ، وهكذا تكنس كوخها ، وهكذا يقول الزوج لزوجته الى اللقاء . وأوضح للممثل الذى يؤدى دور الزوج كيف يتسلق جبلا ، وكيف يمثل غروب الشمس ، وأوضح لزوجته كيف تمشى وكيف تنحنى .

وكانت هذه تجربة مزعجة جدا بالنسبة للممثلين ، ففى المقـام الاول كان شيانج لو ـ سمينا ومستديرا وضخما لكنه كان يرقص كل خطوة يخطوها بخفة ورشاقة ، كان بوسعه أن يقفز بنعومة فى الهواء ثم ينتقل من خطوة لاخرى فى خفة من يطفو على الماء . كان الممثلون الاخف منه وزنا يتحركون الى جواره حركات بطيئة متثاقلة .

ثم هناك ما أزعجهم أكثر . الدقةالتى كان يطلب بها تأدية الحركات والطريقة التى يحصل بها عليها، كان الممثلون يعملون فى ارتجال طليق فيبحثون عن الحركات المعبرة داخل ذواتهم ... فجاء شيانج لو ليضع أيديهم وأرجلهم الوضع الصحيح .

وشكا بعض الممثلين ان هذه الطريقة كانت عبئا يثقلهم . لكنهم بعد الظهر حين حاولوا أن يؤدوا هذه التمرينات أمام بعض زملائهم الذين لم يحضروا فى الصباح وجدوا أنفسهم غير قادرين على التواصل . كانت ثمة ثغرات كثيرة فى ملاحظتهم الاساسية .

وانتهى الممثلون جميعا بعد الظهر ـ وهم معذبون قليلا بهـذه التجربة ـ بالعمل فى تمرين صينى أساسى : فحاولوا كل اثنين معا ـ تقليد مشهد من المسرح الصينى لاثنين يسافران معا فى قارب . وجد

المثلون هذا التمرين شيئا بالغ الصعوبة . كان من المهم ملاحظة أنهم حاولوا الاقتراب من المشكلة بأن يتصوروا أنفسهم فى قارب ، ويؤدوا بالتالى الحركات المنطقية التى يمكن أن تحدث لهذا القارب .

وأحسست أن هذه المشكلة نفسها لو عرضت لمجموعة من الطلاب فربما بدأوا بالرقص الايقاعى ومضوا فى الاتجاه المخالف تماما . غريزيا ، فان المثلين الذين اعتادوا العمل فى اطار طبيعى لابد أن ينظروا الى المشكلة ــ حتى لو كانت تمريننا صينيا ــ كمشكلة « واقعية » .

٢١ يوليو :

واذا كنا حريصين على أن نجد لغة للتواصل مع الآخرين فلابد أن تكون نحن قادرين على أن ننظر الى أنفسنا بصدق .. وخلال البروفات تبين لنا أن هذه مهمة بالغة الصعوبة ، فكلنا ــ بما فينا المثلون ــ لدينا قدر من الاستجابات السهلة تجاه المادة التى ندرسها ، كيف نجتاز هذه الاستجابات السهلة حتى تواجهنا استجاباتنا الحقيقية بالفعل .. ؟ .

بدأت هذه الصعوبة تتضح حين شرع بروك فى مشهد تعذيب ، فاختار أربعة ممثلين لتمثيل المشهد على أن يجلس باقى المثلين فى دائرة كمجموعة مراقبة . وطلب الى هؤلاء المراقبين أن يعبروا عن استجاباتهم المباشرة والتلقائية نحو مايرون ، أولا : كما لو كانوا يراقبون أمريكيين يقومون بعملية التعذيب ، ومرة أخرى كما لو كانوا أهل قرية ضربت بالقنابل وهم يرقبون طيارا امريكيا يعذب .

كانت معظم الاستجابات هى الاستجابات المتوقعة . وكانت فى معظمها تعبيرا تقليديا عن القرف . عدد قليل من المشاهدين استطاعوا أن يتعاطفوا مع رغبة القرويين الفيتناميين فى شىء من الانتقام ، لكن أحدا منهم على الاطلاق لم يتعاطف مع موقف الامريكيين . فى المناقشة التالية سألت فتاة أسخطها ما رأته : ماذا كان يمكنها أن تفعل لو أنها كانت ضابطا أمريكيا قتل رجاله فى قرية فيتنامية وهو مقتنع بأن هؤلاء الفيتناميين الذين أمامه يعرفون القاتل . أليس للضابط الحق فى رغبة أساسية هى أن يحاول انقاذ حياة رجاله وأن يعمل فى سبيل

ذلك ؟ فأجابت بصدق واضح أنها لاتستطيع أن تتصور نفسها ضابطا أمريكيا .

وأحسست بأن الموقف بحاجة لاستكشاف فى هذا الاتجاه : اذا كان المراقبون يستجيبون ببساطة استجابة تتسم بالقرف فما ذلك الا لأن الافعال منتزعة من سياقها ، لكن ربما كان أهم من ذلك ملاحظة الحماس والاستمتاع الذى كانت تتم به هذه الافعال . كان المعذبون والمعذبون معا يلعبون اللعبة بخيال قوى ، والضربات المزعومة توجه الى الصدر وما تحت الحصر ، والضحية تئن وتصرخ فى ألم شديد واضح .

كانت مشاهد التعذيب مقنعة لحد يبعث على المرض ، وكان معظمنا يرقبها باهتمام منبهر . كشف لنا هذا عن الهوة بين ماندعى أننا نحسه وتلك الدوافع المتضاربة داخلنا ، وبعدها بكثير .. حين ذهبنا الى « دونمار » لعبنا صورة من صور لعبة العميان التى ابتكرها الطلبة فى برادفورد . كان كل منهم يندفع منهمكا فى استمتاع بعمل كل الاعمال التى من شأنها أن تخيف هؤلاء الذين لايستطيعون الرؤية ، ثم يجلس الجميع بعد ذلك وكل يحكى للآخر كيف كانت عملية التعذيب هذه باعثة على القرف ! .

ويبقى بعد ذلك أن هذه الاستجابات الغريزية المثقلة بالقرف لمشاهد التعذيب صحية وأصيلة . فخطوة واسعة هى التى تفصل بين أن تعذب شخصا تعرفه أثناء البروفات وأن تعذب سجينا بالفعل ، ولكن كان من المهم لكل منا أن يتعرف على بذور القسوة فى نفسه كخطوة أولى نحو الفهم .

كانت خشبة المسرح قد أصبحت فى الحقيقة مهيئة لوصول جروتوفسكى الذى كان عليه أن يقيم الرابطة بين العمل الجسدى والرغبة فى النظر بصدق داخل الذات . من هنا ترك معظم المضى فى هذا الاتجاه لمجىء جروتوفسكى .

٢٥ يوليو :

تحدث بروك ثانية للممثلين ملخصا لهم عمل الاسابيع الثلاثة الاخيرة ، فأشار الى أن كل شريحة من العمل كانت مستقلة بذاتها ،

وان وضع الشرائح الى جوار البعض شيء يتم فيما بعد . والآن عليهم أن يخضعوا بجدية كاملة لكل جزء من أجزاء العمل على حدة ، وقد يستمر العمل بهذا المنهج عدة اسابيع قبل أن يبدأوا رؤية ملامح شيء يتشكل .

وعلى الممثلين أن يعوا أنهم يحاولون خلق لغة جديدة فى الاداء : بتجميع القطع والشرائح الصغيرة من كل مكان . وعلى الممثل أن يحفر داخل نفسه بحثا عن الاستجابة . لكن عليه فى الوقت نفسه ان يظل متفتحا للمثيرات الخارجية . فالتمثيل هو القران بين هاتين العمليتين .

كان هذا هو الاسبوع الاخير قبل وصول جروتوفسكى ، وهو الاسبوع الاخير كذلك الذى يقضيه معنا جوتشيكين . وقضى معظم الممثلين بقية الاسبوع يرتجلون المشاهد الامريكية . وحين كانوا يلعبون قصة حول دوريس داى «The Blae berry Pie» ، كشفوا عن التقدم الذى أحرزوه فى مزيد من السيطرة على تعبيراتهم ، الذى تحقق خلال الاسابيع القليلة الماضية . فنجحوا فى أن يقدموا لحظات من الانفعال الخالص وهم يضحكون بينهم وبين أنفسهم . لقد استطاعوا على الاقل أن ينفذوا خلال جدار « الوصاية الشاحب » الذى عبروا عنه فى البداية .

ما الذى تم انجازه فى هذه الاسابيع الاربعة الاولى ؟ .. تم وضع اسس أسلوب فى الاداء ، وأصبح الممثلون الآن أكثر مرونة فى الانتقال من حالة لأخرى ، وتم تشكيل ذكى للغة مسرحية تقوم على تجميع مفردات عديدة مختلفة ، ومعظم المادة التى وجدت طريقها الى الفصل الاول ألقيت فى مرة أو أخرى خلال هذه البروفات .

ماكان لايزال ناقصا هو حس السيطرة المنظمة : فيزيقيا وانفعاليا من جانب الممثلين . ماكان ناقصا ـ بعد كل الاستكشافات فى مختلف الاساليب ـ هو التركيز القوى المحكم داخل منطقة بالذات .

هذا ماكنا نرجو أن يحققه جروتوفسكى حين انتهت المرحلة الاولى من البروفات وكان العمل الذى سيقوم به مع الممثلين يحدد بالضرورة الطريقة التى تنتظم وتتشكل داخلها المادة التى بين أيدينا .

كان الممثلون على استعداد لبداية الخطوة التالية فى عملية البحث .

الرواية الثانية

ميشيل كوستوف

الاثنين أول أغسطس :

عند هذا الحد الذى بلغته البروفات ، وقد تمت الجولة الاولى بين أعضاء الفريق من حيث معرفتهم وتصوراتهم لامريكا وفيتنام واسيا قرر بروك أن يحول مركز الاهتمام نحو شيء آخر لمدة عشرة أيام ، فدعى جيرسى جروتوفسكى مدير « المعمل المسرحى البولندى » فى روكلو كى يعمل مع ممثلينا ، ويجتاز بهم منهجا من التدريبات والتمرينات التى جعلت ممثليه يصلون حدا عظيما من المهارة الفيزيقية والروحية . ووصل جروتوفسكى يصحبه واحد من أبرز ممثليه هو ريزارد كليسلاك . وكنا جميعا نتساءل عما سيعمله جروتوفسكى معنا .. وقد شهد بعضنا اخراجه المتفجر والصابىء لمسرحية « مارلو » دكتور فاوستوس ، ورأى هذه التمرينات المبهظة ، والنظام الصارم العنيد ـ كنظام الرهبان ـ الذى يفرضه فى معمله المسرحى . لكننا جميعا كنا نعترف بأن هذا الرجل ذا الوجه الشاحب ، الذى يلبس السواد دائما ، ويضع على عينيه نظارة داكنة غالبا ، على قدر متميز من السلطة والاهمية .

ومن الصعب أن أصف ماحدث فى الايام العشرة التالية ، لان هذا الذى حدث كان على مستوى من الخصوصية والتعرى ، كان ـ بكل المعانى ـ معملا وحجرة استشارة واعترافا ومعبدا وملاذا . كان مكانا لرؤية الذات ، للانعكاس ، لكنه انعكاس لايقوم به العقل وحده ، بل تقوم به كل عضلة وكل عصب فى الجسد كذلك .

كتب بروك مقالا « لصحيفة » نادى فرقة شكسبير الملكية بعنوان : « ازدهار » لخص فيه تأثير جروتوفسكى علينا جميعا فى هذه المرحلة :

« ان جروتوفسكى متفرد ..
« لماذا ؟ ..

لانه ما من أحد فى العالم ــ بقدر معرفتى ، وما من أحد ــ منذ ستانسلافسكى ــ قد تفحص طبيعة التمثيل : ظاهراته ومعناه ، طبيعته وعلم عملياته العقلية ــ الفيزقية ــ الانفعالية بمثل هذا العمق والشمول الذى قدمه جروتوفسكى .

انه يسمى مسرحه معملا ــ وأنه كذلك . أنه مركز بحوث ، وربما كان المسرح الطليعى الوحيد الذى لايؤدى فقره الى التخلف ، ولا تصبح حاجته للمال تكأة لوسائل ناقصة تقوم آليا بتخريب التجربة من الداخل ، وفى مسرح جروتوفسكى ــ كما فى كل المعامل الحقيقية ــ يثبت صدق التجارب بالوسائل العلمية لأن كل العوامل الاساسية فى التجربة توضع فى الاعتبار وفى مسرحه ثمة تركيز مطلق تقوم به جماعة صغيرة لزمن غير محدود لهذا .. فأنت اذا كنت مهتما بمعرفة ماوصل اليه فلابد أن تذهب لهذه المدينة الصغيرة فى بولندا .. »

أو أن تفعل مافعله بروك : فتأتى بجروتوفسكى الى حيث أنت .

ظل يعمل مع جماعتنا لاسبوعين . ولن أصف لكم ماعمل . لماذا ؟ .. أول كل شىء لان هذا العمل يكتسب حريتــه من كونه قائما على الثقة ، هذه الثقة بدورها تقوم على ثقة بأنها ســتظل طى الكتمان ، وثانيا لان هذا العمل فى جوهره عمل غير لفظى ، ومحاولة صياغته فى الفاظ ستؤدى الى تعقيد ــ وربما تدمير ــ هذه التدريبات التى تبدو واضحة بسيطة حين يكشف عنها تعبير الوجه وينفذها العقل والجسد معا كوحدة واحدة .

ما الذى أدى اليه هذا العمل ؟ ..

أصاب كل ممثل بسلسلة متوالية من الصدمات :

صدمة مواجهة ذاته فى مواجهة تحديات بسيطة لايمكن دحضها .

صدمة رؤيته لمحاولات هروبه الخاص وحيله وكليشيهاته .

صدمة احساسه بجانب من مصادره العظيمة غير المستثمرة .

صدمة قسره على أن يتساءل : لماذا هو ممثل منذ البداية .

صدمة قسره على الاعتراف بأن مثل هذه الاسئلة موجودة وقائمة ، وأنها يجب أن تواجه رغم التراث الانجليزى ذى التاريخ الطويل الذى

يوصى بتجنب الجدية فى الفن المسرحى ، جاء الوقت الذى يجب أن تواجه فيه هذه الاسئلة ، ويكتشف الممثل نفسه انه يريد أن يواجهها

صدمة ادراكه أن التمثيل – فى مكان ما من العالم – فن يقتضى التكريس الدائم ، المطلق ذا الطابع الرهبانى الشامل ، وأن عبارة « أنتونين آرتو » – التى أصبحت الآن مبتذلة – عن « القسوة على النفس » هى بالفعل أسلوب حياة عدد لايتجاوز اثنى عشر فردا يعيشون فى مكان ما من العالم .

تحفظ واحد . هذا التكريس للتمثيل لايجعل من التمثيل غاية فى ذاته ، بل الامر على النقيض ، فعند جروتوفسكى ليس التمثيل سوى مركبة . أو .. كيف أصوغ الامر فى كلمات ؟ .. أن المسرح ليس هروبا وليس ملاذا ، وطريقة الحياة هى الطريقة فى الحياة . هل يبدو هذا أشبه بشعار دينى ؟ لكنه يجب أن يكون كذلك .. وهذا كل شىء فى الامر ، لا أكثر ولا اقل .. والنتائج ؟ .. غير محتملة ؛ هل ممثلونا أفضل ؟ .. هل هم بشر أفضل ؟ .. ليس الامر على هذا النحو قدر ما أستطيع أن أرى ، وليس الى المدى الذى يمكن أن يزعمه انسان آخر (وبالطبع لم يكن الجميع على نفس القدر من الحماس لتجاربهم ، فقد أصاب الملل بعضهم) .

لكن الامر كما قال آردن :

لأن التفاحة تحوى بذرة ستنمو ..

فى ازدهار وفرح دائم .

كى تنبت شجرة فاكهة مثمرة ..

دائما وللابد ..

كان فى عمل جروتوفسكى وعملنا نقاط تواز والتقاء ، خلال هذه النقاط ، وخلال التعاطف والاحترام استطعنا أن نصل معا .

لكن حياة مسرحنا مختلفة عن مسرحه من كل الوجوه ، هو يدير معملا وهو من ثم بحاجة للجمهور فى بعض الاحيان فقط وبأعداد قليلة ، وتراثه هو الكاثوليكية .. أو ضد الكاثوليكية ، ففى هذه الحالة يتلاقى النقيضان ، وهو يخلق لونا من ألوان الصلاة (الخدمة الدينية) . أما نحن فنعمل فى بلاد أخرى ، بلغة أخرى ، وتقاليد أخرى ، وهدفنا ليس قداسا جديدا ولكن قيام لون جديد من

العلاقة التى عرفها المسرح الاليزابيثى : (١) تربط الخاص بالعام ، الحميم بالجماهيرى ، السر بالعلن ، المبتذل بالسحرى ، لهذا فنحن بحاجة الى كل من الجمهور على الخشبة والجمهور المراقب ، ومن داخل هذه الخشبة المزدحمة يقدم الافراد حقائقهم الحميمة للافراد داخل جماهير المشاهدين ، كى يشاركوهم تجربة جماعية ..

وقد استطعنا أن نصل لطريق ننمى فيه نسقا شاملا لفكرة الجماعة .. فكرة الفريق .

لكن عملنا يظل دائما أكثر تعجلا وأكثر خشونة مما يتيح نموجماع الافراد الذين يتكون منهم الفريق .

ونظريا نحن نعرف أن على كل ممثل أن يضع فنه دائما موضع المساءلة اليومية، مثله فى ذلك مثل عازف البيانو والراقصين والرسامين، وان لم يفعل فسيقع بالتأكيد فى قبضة العجب وتنمية الكليشيهات ثم ينهار فى النهاية ، نحن نعرف هذا ونعترف به لكننا لا نفعل شيئا فى سبيله ، لهذا نظل نلهث دائما وراء الدم الجديد ، حيوية الشباب. الامر هكذا بالنسبة للجميع عدا قلة من الاستثناءات ذات الموهبة العظيمة الذين حصلوا بالفعل على أعظم الفرص وأفادوا من كل خبرة الزمن المتاح .

وكان انشاء « ستديو ستراتغورد » من جانبنا اعترافا بهذه المشكلة ، لكنه ظل يكبر على أساس من وجود « فهرس مسجل » ، وفرقة مثقلة بالعمل ، وجهد قليل .

وكان عمل جروتوفسكى يذكر الجميع بأن ما يحققه بما يشبه المعجزة مع حفنة من الممثلين مطلوب بنفس القدر من جانب كل من

---

(١) مازال بناء المسرح الاليزابيثى ـ رغم الخلافات حوله ـ هو الطراز السائد بين أبنية المسرح . وقد عرف المسرح الاليزابيثى نمطين من البناء : العام والخاص . الاول يتخذ شكل الدائرة تقريبا ، ويضم باحة واسعة مكشوفة تصطف حولها المقاصير وتقع الخشبة الى جانب منها . يجلس الجمهور فى المقاصير أو يقف فى الباحة المكشوفة محيطا بالممثلين من جهات ثلاث ، ويقدم المسرح عروضه فى ضوء النهار . أما الخاص فيختلف عن العام فى انه قاعة مقفلة لامكان فيها لوقوف الجمهور ، وهو اقل مساحة من العام واكثر منه احتفالا بمناظر المسرحية وتحديد مكان المشاهد المتتالية تحديدا دقيقا .

وملاحظة كوستوف هنا تنصرف أولا الى الجمهور ، الى ضرورة الازدحام على الخشبة والازدحام بين الجالسين والواقفين ، والعلاقة التى يمكن أن تقوم بين الجانبين .
(المترجم)

الممثلين فى فرقتينا الكبريين فى مسرحين يفصل بينهما تسعون ميلا .

ان عمل جروتوفسكي - بتماسكه وصدقه - ترك وراءه أثرا واحدا : التحدى ، لا لاسبوع ، أو أسبوعين ، ولا لمرة واحدة فى الحياة . لكنه تحد يومى .

الاثنين ١٥ أغسطس :

فى نهاية الاسبوع ، استعرض بروك وهنت وريفيز كل المادة التى توصلنا اليها ، وقرروا (متأثرين لا شك بهذا الالتزام المتقد الذى نجح جروتوفسكي فى انتزاعه من ممثلينا) أن يكون الاحتراق بمعنى احراق الفرد لنفسه ، هو الصورة المركزية للحدث فى المسرحية ؛ وناقشوا كيف تخرج من هذا الفعل العارى كل ملامح التاريخ والسياسة والتواصل التى تعكسها الحرب ، ويوم الاثنين تحدث بروك الى الممثلين : « نبدأ الآن المرحلة الثالثة من عملنا . فى المرحلة الاولى فتحتم مجالات كثيرة قدر امكانكم يختلف مداها اتساعا باختلاف درجة معرفتنا أو جهلنا أو تصوراتنا حول الموضوع ، ومع جروتوفسكي استطعتم أن تتكشفوا بعمق وقوة شريحة مركزة وضيقة وشخصية من التزامكم . التزامكم الجسدى الخاص من حيث أنتم ممثلون . والآن فى المرحلة الثالثة سنعمد الى توسيع مجال اهتمامنا من جديد ، لكن هذا الاكتشاف الشخصى القوى سيظل معنا ، ولا أريد لأحد منكم أن يحس بأن العمل مع جروتوفسكي خلال الايام العشرة الماضية كان نوعا من الدراسة الصيفية أو منهجا ترفيهيا لا علاقة مباشرة له بموضوعنا . لا . أن هذا البحث الشخصى - وأنا أعرف أن كثيرين منكم قد وجدوه مؤلما - سيظل معنا ، لهذا أود ان اقول لكم مرة اخرى أن من يريد ان ينسحب الان فليفعل » ..

ولم ينسحب أحد ، حينئذ طلب بروك من مارك جونز وروبرت لويد أن يعيدا أداء مشهد البوذى الذى يخرق نفسه كما رأياه فى فيلم « موندو - كين » ، وطلب الى بقية الممثلين أن يقفوا حولهما فى مربع ويراقبوهما . وأعيد المشهد مرة أخرى وأشار كل ممثل الى التفاصيل التى أهملت : كلون من ألوان التذكر الجماعى ، وفى المرة الثالثة طلب الى الممثلين أن يقدموا استجاباتهم الشخصية تجاه هذا الحدث

بأكثر الوسائل صدقا ، وان يحددوا اتجاههم نحوه فى عبارات مسبوقة بأسمائهم وبتفاصيل عن المكان والتاريخ ، وجاءت معظم الاستجابات فى شكل همهمات متدافعة لاتكاد تسمع دون اسم أو مكان أو تاريخ ،

ثم طلب اليهم بعد ذلك أن يشرحوا اتجاهاتهم فى فعل ثم فى حركة وصوت : صور الاهتمام والفزع واللامبالاة والرفض والانكار والحاجة الى التواصل وتقديم القربان والصلاة ٠٠

الثلاثاء ١٦ أغسطس :

وبدأنا معا ـ فى تعثر واضح ـ محاولة لتجميع وضم المادة التى استطعنا الوصول اليها والتى كانت تضم حوالى مائة وخمسين صفحة فى وحدات يمكن تمثيلها

وكانت مشكلة الكاتب المسرحي قد أصبحت مشكلة حرجة ثم وصلنا نحل لها من جديد ، كنا ننوى دائما أن نضم الينا كاتبا فى طول عملية البروفات آملين ان الكاتب والممثلين يمكن أن يفيد كل منهم الاخر ، وأن الكاتب بوجه خاص يمكنه أن ينقب بعيدا وعميقا حين يواجه بعمل الممثلين الذين لا يساندهم نص مكتوب ، ولم يستطع كاتبنا الاصلى ، تشارلس وود ، أن يتخلص من كتابة فيلم سبق أن ارتبط به ، وبعد فترة مضنية لم يكن معنا خلالها كاتب على الاطلاق رحبنا بانضمام دينيس كانان الى الفريق ٠ وتابع تجميعنا التدريجى ٠ لمادتنا التسجيلية والمرتجلة التى أملنا أن نجعل منها فصلا أول ، وكنا نبحث عن كانان من أجل الفصل الثانى ..

الخميس ١٨ أغسطس ـ نورمان موريسون :

أعطيت لميشيل ويليامز الاغنية التى كتبها اندريان ميتشيل عن نورمان موريسون ـ الرجل من جماعة الصحاب الذى أحرق نفسه على عتبة البنتاجون ـ كى يقرأها بصوت مرتفع ، وطلب الى بقية الفريق أن يشكلوا من أنفسهم جماعة صحاب أثناء أحد اجتماعاتهم : صمت مستمر لا يقطعونه الا حين تدفعهم الروح الى قطعه ، فى هذا الاطار كان مطلوبا منهم أن يقدموا استجاباتهم لعمل موريسون ..

مجموعة مختلفة من الاتجاهات : كان عملا بلا جدوى ، كان شـجاعا ولكن ما مصير زوجته وأطفاله ؟ ، نحن لا نملك أن نحاكمه ، ان هـذا لم يحقق شـيئا ، كان شـجاعا أحمق ، حالة متطرفة من حالات الاضطراب العقلى استخدم فيتنام شماعة يعلق عليها يأسه الشخصى أنا لم أصدق أبدا أنه سيفعلها • أصابنى هذا الفعل بارتجاج عنيف، أنا احس حتى بأننى أقل من ان افكر فى عمله ، أنا خائف لـدرجة الرعب ، اننى أعجب اى عالم داخلى هـذا الـذى كان يعيش فيـه موريسون بحيث لم يكن ممكنا أن يخرج منه الا على هذا النحو . كان بحاجة لشىء من الراحة ، كان هـذا احتجاجه المطلق ، اذا مضى كل واحد الى حدود المطلق فان شيئا يمكن أن يتحقق لكن لا أحد يفعل هذا ، كان مريضا وغبيا وفاشلا ، لقد تنازل عن حياته من أجل أن يعيش الاخرون ..

كان ميتشيل يبدو غير مرتاح بصورة مؤلمة خلال هذه الارتجـالية

الجمعة ١٩ أغسطس :

قرأنا بصوت مرتفع « الوثيقة الصينية » ، وهى التجميع الذى قام به هنت من مصادر شيوعية وقومية فى معظمها ، وتوقفنا عند وقت الفداء ، وقرر بروك وهنت وستوت وبيسلى وسالى جاكوب وريفز وميتشيل وكانان وكوستوف القيام برحلة عمل قصيرة الى حديقة سان جيمس ، على مرمى حجر من قصر باكنجهام ...

فى الطريق انى الحديقة التفت الى دنيس كانان وسألنى قال لى : « أن ما أتجه نحوه فى تفكيرى بالنسبة للفصل الثانى هو الشـعور الذى لدى بأننا جميعا نريد المواقف المتطرفة ، واننـا جميعا نتوق الى الغزو والى كشف القناع ، لان هذا كله أميـل لان يبسط لنا حياتنا المعقدة المرتبكة ، وبدا أن هذه الفكرة هى التى نمت فى حديث حليندا جاكسون الاخير « نهاية الفصل الثانى » ..

وفى الحديقة استقرت آراؤنا حول الاجزاء الصالحة للتمثيل من الوثيقة الصينية وأغنية زوجة الجنـدى والاسـاطير والاشـعار الفيتنامية ورحلة السيارة الثورية

السبت ٢٠ أغسطس :

مراجعة سريعة لكل المادة التي تجمعت خلال الاسبوعين الماضيين ، وبعد ساعة وثلاثة ارباع الساعة لم تصل المراجعة لأبعد من بداية القسم الخاص بتاريخ فيتنام ، كنا نخشى جميعا أن نقدم عرضا يصل زمنه الى خمس ساعات • وحين سئل كانان عن رأيه فى هذه المراجعة قال أنه يرى أن الفصل الاول يتركز حول الانسان والمآزق التى يواجهها فى حين ان الفصل الثانى يجب أن يتركز حول الانسان وطبيعته ، ودارت مناقشة وجودية كان كانان أثناءها يستشهد بسارتر فى رسمه للامح « عدو ــ السامية » ، لتوضيح افكاره حول شخصية مارك ، وراح بروك يفكر فى مشهد الدقائق العشرين الذى اقترحه كانان حول صبى انجليزى يريد أن يحرق نفسه

الثلاثاء ٣٠ أغسطس :

فى الغرفة الخلفية الصغيرة الملحقة بصالة البروفات فى مسرح دونمار اجتمع بروك وهنت وريفز وميتشيل وكوستوف وكانان ومارك جونز ، كان ثمة تدريب دقيق سيحدث قائم على اقتراح كانان للمشهد الاخير • قال بروك جونز : « انت الآن فى ميدان جروسفينور ، معك صفيحة البترول والثقاب وقد جئت لتحرق نفسك » ؛ وبدأ مارك فى اتخاذ ترتيباته ، وجاء كانان ومعه قائمة معدة بالاسئلة التى تحاصره • وضع مارك وسط التيار وبدأ يسبر حقيقة الاسباب التى تدفعه لهذا العمل والآثار التى يأمل أن تترتب عليه ورأيه فى الآخرين وقدرتهم على التغير •

كان لونا من الوان المكابدة ، لونا من ألوان الاغارة على افتراضات الانسان (وافتراضات مارك) ، يستخدم الحكايات الفظة والمحاورة السقراطية من أجل اثناء مارك عن قراره ، لكنه لم يكن ليصل الى ذروة القرار النهائى الذى وصل اليه مارك ، وهذا الوفاء منه ، كوفاء الكلب ، هذه الاستجابة الحيوانية الصادقة نحو الاختيار الذى اختاره ، ولم تستطع حتى أكثر الشظايا التى أطلقها كانان حدة وتثقيفا أن تنفذ من جدار أخلاصه الصلد •

وحاول ميتشيل عندئذ أن يستميل اليه مارك : « الا تستطيع أن ترى فى هذا العمل نوعا من التضحية بالذات ؟ .. هل حاولت بالفعل أن تسلك كل الطرق الاخرى الممكنة ؟ »

وقرأ هنت على مارك قائمة تضم أسماء أناس كثيرين انتحروا بالنار فى بريطانيا خلال العامين الاخيرين لاسباب مرضية أو حمقاء أو مجنونة او غير مفهومة ، وكان رد مارك أنه مهما رأى النـاس فى تفسير الفعل الذى يقدم عليه ، فانه هو يعرف دوافعه الحقيقية ، وبالتالى لا يزعجه من تفسيرهم شىء ..

جلس بروك على الارض الى جانب مارك ، لصيقا به : « انظر الى فى عينى ، ما هى القسوة ، هى الممارسة غير المحددة للسلطة على الاخرين ، هل لديك سلطة تمارسها على الاخرين ؟ هل لديك سلطة تمارسها على نفسك ؟ .. ألست قاسيا على جسدك الخاص حين تشعل فيه النار ؟ .. ألست حيا ؟ .. ما أنت ؟ .. هناك شىء اسمه الحياة فى داخلك هل لك الحق فى أن تدمره ؟ .. ان ما تريد أن تفعله بنفسك هو بالضبط ما يفعله العالم بنفسه ، أنت تطالب بالحياة لهذا العالم فلماذا لا تحيا أنت ، اذا توقفت الان عن أن تحرق نفسك فستنقص افعال القسوة فى العالم فعلا واحدا ، ان مواجهة الموقف بحاجة لشجاعة أكثر مما تحتاجها كى تحرق نفسك ، انه نفس اللون من الشجاعة الذى يحتاجه هؤلاء الذين على أعلى مستويات السلطة والمنغمسون فى الحرب كى يتراجعوا عن مواقعهم المعدة لهم » ..

وضع مارك رأسه بين راحتيه ، ودام الصمت خمس دقائق ، استمر هذا التمرين حوالى الساعتين ، ونحن جميعـا جالسون فى صمت . كنت أعى تماما هذا اللون المختلف من الاتصال الذى حاول بروك أن يقيمه مع الممثل ، مختلفا عن الباقين . كانت أسئلة بروك أكثر قربا من الواقع وأكثر مدعاة للاعتراف ..

حاولنا مناقشة نتائج هذا التمرين فيما بعد ، كان هنت يخشى هذا الشعور الملطف بالتطهير الذى يمكن أن تحدثه مثل هذه المحاكمة القوية بين النار والحجة ، وقال بروك ان الصمت الذى يأتى فى النهاية يجب أن يكون صمت « الفاغر فمه لا صمت المغلق عينيه » و «الالتزام علاقة متغيرة مثـل علاقة الحب ، لا صفقة مثـل الزواج الخائب .

ودعونا لا نبالغ فى تقدير التأثير الكامن فى العرض ، فعلى كنبة المحلل النفسي قد يستلقى مريض واحد اثنى عشر عاما ، ونحن لدينا هنا ألف انسان ـ يساوون فى عددهم الواقفين على محطة ووترلو ـ لمدة ثلاث ساعات ، وعلينا أن نقوم بعمل يشبه وخز الشرايين بالابر :

فنختار تلك النقطة الدقيقة من العضلة المتوترة التى يؤدى وخزها الى الارتخاء . واذا نحن نجحنا فاننا لن ننهى الحرب او نفعل شيئا خطيرا مثل هذا ، ولكن فردا واحدا من هؤلاء الالف قد يستجيب وفيما بعد بطريقة مختلفة نتيجة تجربته فى المسرح ذلك المساء » .

الاربعاء ٣١ أغسطس :

وفى الغرفة الخلفية بمسرح دونمار ، مع ممثلين خمسة هم : مارك جونز ، ميشيل ويليامز ، روبرت لويد ، جليندا جاكسون ، كليفورد روس ، بدأ تدريب آخر مرهق حول كيف يؤدى الممثل فعل حرق الذات

بروك : اريد منكم أن تبدأوا بالبحث عميقا فى نفوسكم حول فكرة الموت ، ولا علاقة لما أريده بالتصور أو بفكرة الوجود الماضى ، فقط حاولوا واقتربوا ألصق ما يمكنكم بمشكلة الا يكون الواحد سوى عدم ـ الآن

بعد ذلك : أنت لم تعد ميتا بعد ، أنت حى . اصغوا أعمق مايمكنكم الى الاحساس بفكرة أنك حى ، بأقصى ما يمكنكم من هدوء ، ما أدق الاختلافات القائمة بين أن تكون عدما ، خواء ، وأن تكون حيا ، اصغ لهذه الاختلافات

والآن : لديك .. امكانية واحدة فقط ، أن تضع الى جانبك شخصا ، شخصا واحدا فقط ، شخصا واحدا فقط يتنفس معك ، الشخص الذى هو ألصق التاس بك ، أنت الان اذن فى غيبوبة لكنك حى وتعى أنك حى مع شخص واحد لصيق بك .. هذا كل شىء ، ليس ثمة شىء آخر متاح لك

والان : لديك امكانية الاختيار : ان تختار واحدة من ملكاتك . . الكلام ، الرؤية ، اللمس ، الحركة ، الجنس ، الذواق .. لكنك لاتستطيع

سوى أن تختار واحدة فقط . اصغ بعمق الى الحياة فى داخلك ، تحرك نحو الشخص الذى أنت بحاجة اليه أكثر من غيره ، ودع هذه الملكة الواحدة التى اخترتها تزدهر، اختبر اختيارك: هل هو مشبع؟٠

هل تستطيع ان تجد الحياة كاملة فى هذا الاختيار الواحد ؟ .. هل هذا أفضل من الموت ؟ .. هل يبدو هذا وجودا ممكنا ؟ .. حاول أن تستكشف هذا مع الشخص الذى الى جوارك

الان أصبحت لديك امكانية اخرى : انت تستطيع أن تعيد الحياة الى نقطة واحدة من نقاط جسدك، الى رأسك او يديك او اطراف اصابعك أو ذراعيك أو ساقيك أو أعضائك الجنسية ٠ استرجع الحياة

الى هذه النقطة الواحدة واجعلها دقيقة قدر امكانك : فأى اصبع تريده ؟ اتصل بهذا الشخص الاخر بهذه النقطة المختارة ٠ ركز ذاتك كلها حول هذه النقطة ، تحرك حولها ، لاطفها ودللها

والان : امكانية جديدة : انت تستطيع ان تعيش بجسدك كله ولكن فى حجرة صغيرة مغلقة ، ابحث عن الاشياء والناس الذين تحتاجهم كى تحيا ، ما هو الحد الادنى الذى تحتاجه كى تحيا ؟ .. كم شيئا

وكم شخصا ؟ ٠٠ طوح بأى شىء أو أى شخص ليس ضروريا ضرورة صارمة تفحص كل موضوع بدقة وعلى مهل فأنت ستحيا معها زمنا طويلا

والان : اخرج من هذه الحجرة الى العالم الواسع ، وأنت تضع يدك على اكرة الباب اختر شيئا واحدا من العالم الخارجى هو الذى يجعلك تريد الجميع ، تجربة ، ضوءا ، صوتا ، لونا ، ناسا »

وتحرك الممثلون حول الحجرة ، أحدهم قفز ، احدهم راح يلعب فى حوائط الحجرة ، أحدهم يطوح أردافه ، وأحدهم يتجول فى هدوء ، استمر هذا التدريب تسعين دقيقة

وبعد فترة راحة وضع بروك خمسة مقاعد طويلة ممتدة ، وأعاد التمرين كله بالمقلوب وأسمينا هذا التمرين فيما بيننا « المشى على الخشب » ، وكان على كل ممثل أن يخطو ست خطوات تؤدى به الى

نهاية المقاعد ومن ثم الى الخارج ، لكن كل خطوة لا يتخذها الممثل الا بعد أن يقرر

أنه استبعد العالم وما عاد يعنيه ٠

انه استبعد الحجرة المغلقة وأشياءها الثمينه ·
انه استبعد العضو الواحد الحى من جسده ·
انه استبعد القدزة الوحيدة الحية ·
انه استبعد الشخص الوحيد الذى يحتاجه ·
أنه استبعد الاحساس بأنه لايزال حيا وتقبل الموت ·

وفى كل مرة كان الممثل يتخذ واحدا من هذه الاختيـــارات كان يؤدي فعلا كمن ينتزع طبقة من جلده ، ومضى معظـــم الممثلين حتى الخطوة الرابعة ، ومضي بوب لويد الي الخطوة الخامسة ثم توقف ، ووجد مارك جونز أقصى صعوبة ممكنة فى اتخاذ أى من الخطوات : مضى الى الخطوة الرابعة ، وتعثر ، ثم خرج عن المقاعد كلها ·

بالنسبة لممثلى الفريق داخل الحجرة ايضا كانت هذه التجـــربة تجربة صارمة ، وبعد فترة راحة تحدث بروك اليهـــم عن الالوان المحددة من الاحتراق التى ســـيطلب اليهم أن يمثلـــوها حسب الشخصيات المنوطة بهم : راهب بوذى عجوز ، راهبة بوذية شابة ، نورمان موريسون ، طليعى أمريكى بائس ، شاب انجليزى ، ثم طلب اليهم بعد ذلك أن يؤدوا عملا فى المنزل هو أن يحاولوا العثور على خط واحد يربط الملامح المختلفة للحرب التى كنا نمثلها ، خط واحد يرتبط بقرارهم الاخير لان يحرقوا أنفسهم · بعبارة أخـــرى : أن يعودوا بالنظر الى كل المـــادة التى جمعناها ، وأن يحـــاولوا تبين اتجاهاتهم الخاصة تجاه كل مشهد ولون فى هذا المنظور متعدد الالوان والمشاهد

السبت ٣ سبتمبر :

مازالت سالى جاكوب تجاهد أفكارها فى تصميم المشـــاهد · كان اقتراحها الاول ان يدور المشهد كله فوق وحول جسد مقاتل ضخم ، جندى يشغل حجمه مساحة الخشبة ، وكان هـــذا يبدو كالمقـــولات الجامدة بعض الشىء ، وقد تعدل الى دمية ضخمة لرجل مقاتل تتدلى من قوس المشهد والان اقترحت سالى اقتراحا آخـــر : أن تبقى الخشبة أشبه بمكان تتجمع فيه النفايات ، مع نثار من حطام طائرة ،

واجنحة مطوية ، وقصاصات من أوراق الصحف والروايات الكوميدية متناثرة على الارض

الجمعة ٩ سبتمبر :

قراءة المسودة التى كتبها دينيس كانان للفصل الثانى ، فى هذه المرحلة كان ثمة مشهد يستغرق عشرين دقيقة بين مارك جونز وجليندا جاكسون وكليفورد روز كراهب بوذى كان له تأثير يشبه الوخز الكهربى فى القراءة الاولى ، وحين طلب الينا بيتر تعليقاتنا المباشرة بعده لم نستطع أن نقول شيئا يذكر ، لكننا أحسسنا جميعا بأن المشهد قصير وان شخصية الفتاة قد مسحت البلاط بمارك الى أبعد الحدود ، وكنا نخشى تأثير فقدان مارك للنطق ، هل كنا نخشى اننا ندق عصا لنشق بها كيانا متماسكا ؟ .. هبط كل التزام مارك بأن يحرق نفسه حدا جعله عاجزا عن الكلام ، متروكا بلا حول لبلاغة جليندا التى تنضح بكراهية الذات .

السبت ١٠ سبتمبر :

مراجعة سريعة للفصل الاول ، وقراءة سريعة للفصل الثانى فى وجود بيترهول وجيرى بروكس وغيرهما من المرتبطين بالرويال شكسبير كومبانى ، تعليق بيترهول : « ان جدية واتساع الفصل الاول أمر مؤثر تماما ، وسيستغرق عرضه ساعتين على وجه التقريب ، والبؤرة الضيقة التى يتركز حولها الفصل الثانى تقوم باعادة التوازن المطلوب ، لكننى لست متأكدا من هذا الطابع الذلق الذى يدخل على الاداء فى بعض الاحيان ، فثمة خطر يقوم دائما حين تتوقفون عن أن تكونوا طبيعيين . حتى لو كنتم تلعبون بدمية تمثل بندقية فيجب أن تعاملوها كما لو كانت حقيقية ، وكل المادة الخاصة بالولايات المتحدة الامريكية هى أكثر ثراء وتركيبا من المادة الخاصة بفيتنام » . (خاطرة : سنجد دائما ان الخبرة الامريكية أقرب الينا من الخبرة الفيتنامية)

« اريد منكم أن تفكروا فى أهمية الصمت وعلاقته بجمهورنا . ان الجمهور سيأتى الينا ، ويتخذون مقاعدهم ، ثم ينتظرون فى صمت فضولى متوقع ، رؤية ما ستقولونه لهم عن حرب وعن موقف سياسى قد وصلوا لارائهم فيه ، ومهمتنا فى هذا العرض هى أن نقود جمهورنا ونقود انفسنا — من صمت الى صمت ذى طبيعة اخرى ، الى الصمت الذى يعنى الاهتمام الحقيقى والاصيل ، لا مجرد الانتباه والحنق واليأس والعجز

فكروا فى صورة الاحتراق ، فكروا فيها فى أكثر صورها بدائية : « الاشتعال الناجم عن احتكاك قضيبين معا ، وظل يضغط ، اصبعيه الملويين معا حتى ارتجف ، وواصل بيتربروك حديثه :

« وكلما زادت الحدة والخشونة التى يحتك بها هذان القضيبان معا ، كلما زادت قسوة الصراع بينهما ، وكلما زاد عدد شموع الاضاءة التى نحصل عليها من احتكاكهما ، وفى النهاية ليس أمامهما سوى اختيار واحد : ان ينكسرا أو يلتهبا ، بالضبط هذا ما يجب أن يكون بالنسبة لتناقضات الموقف فى فيتنام . هكذا يجب أن يتم الضغط والضغط .. اكثر واكثر ، وأعنف وأعنف ، حتى يمكن لكل فرد على الخشبة وفى الصالة كلها أن يدفع أكثر واكثر الى موقف أكثر صعوبة واقل راحة حتى يجد فى النهاية الشرارة التى تجعله يتحمل هذه الالوان من العناء ومن التناقض ، لنفسه وفى نفسه

« انه هذا اللهب ، الناتج عن قوة الاحتراق هو الذى يغذى أى حل يفكر فيه أى فرد لانهاء الحرب حتى حين يعى عجزه عن أن تحدث هذه الحلول تأثيرا سريعا أو أى تأثير على الاطلاق ، وسيكون هذا اللهب أيضا هو ما يساند الفرد الذى لا يقدم أية حلول لكنه لن يغرق فى هوة اليأس

« هذا واحد من الاسباب التى تجعلنى أطالبكم — من حيث أنتم ممثلون — بتحد من أصعب التحديات على الاطلاق : أن تواجهوا سلاسل من الافعال أشبه بالشظايا القاتلة ، وأن تتنقلوا فى أشكال متحولة بين سلاسل من الشخصيات المتناقضة تناقضا وحشيا ، كل هذا دون أن تربتوا على ظهر القطة حتى ترتاح أو تصلوا الى « قرار » انيق بالنسبة لكم كممثلين .. »

الجمعة ٢٣ سبتمبر :

بعد الاعادة السريعة الاولى على خشبة الاولد فيتش اجتمع الفريق كله لمناقشة توازن العرض بشكل عام . بروك : « مهمة الفصل الاول أن يجعل الناس تحس بضرورة عمل شيء من أجل فيتنام ، وفي الفصل الثاني يمثل مارك وجليندا القطبين اللذين يحصران بينهما كل منظور جميع من يحسون بالحرب احساسا عميقا ، والروابط بينه وبين الفصل الاول يجب أن تكون من خلال مارك ، فيجب ان نرى الاحداث بعينيه » ، وقررنا أن نجعل مكان مارك الى جانب من الخشبة يتلقى الحرب خلال تليفزيون وترانزستور متوهمين ، ويحاول فقط (دون تماسك) أن يتدخل في نهاية الفصل

الاربعاء ٢٨ سبتمبر :

ذهبنا - بوب لويد وبولين مونرو وأنا - لاجتماع عمل في محكمة راسل لجرائم الحرب كنا نجلس دون حراك على حين يحاول رالف شونمان - سكرتير راسل - أن ينوم الجماهير تنويما ، ثم يدفعها الى الحنق بتلاوة « ورد » يضم قائمة طويلة لاسماء المواد الكيمائية التي يستخدمها الامريكيون في فيتنام . (ومعظمها غير معروف للجمهور لكن تبدو كما لو كانت شيئا موثوقا بصدقه) - وكان باستطاعتنا أن ندرك - بوضوح - ارتفاع حرارة الجمهور على نحو مخيف حين كان هذا الرجل الابيض الغاضب - الذي لا يبدو متأثرا - يواصل قراءة قوائمه . وبعد عشرين دقيقة من السحر الاسود قضى حوالى دقيقتين يطلب الينا أن نقدم الالتماسات لممثلينا في البرلمان ، وأن ندعم المحاكمة ، ونقوم بالمظاهرات . وأحسسنا بحرارة الجمهور تهبط ثم تتخثر . هكذا كنا : جانحين الى الشاطيء مرة أخرى . ارتفع احساسنا بالغضب لدرجة الحمى ثم أسلمنا بعد ذلك لنفس الوصفات القديمة بنفس الاعمال التي أسلمنا لها مرارا من قبل ..

ربما كانت هذه هي النقطة التي يستطيع فيها المسرح - المسرح الحقيقي - أن يقول كلمته الخاصة .

الخميس ٢٩ سبتمبر :

اوقف بيتر بروك البروفات مبكرا (فى الرابعة وخمس واربعين دقيقة بعد الظهر) واستدعانا جميعا للحجرة الخلفية فى دونمار « لقد بدأتم بالفعل ـ خلال اليومين الماضيين خلق ذلك اللون من الاحتراق ، وذلك اللون من الربط بين الاجزاء المختلفة من العرض

الذى حدثتكم عنه يوم الاثنين الماضى . وهذا يعطينا امكانية حقيقية لخلق شىء ينمو عن الجماعة . ولقد بدأتم تجدون الطريق الذى يمكن أن يقودنا نحو ذلك اللون الاخر من الصمت .. ولكن لا تدعوا أحدا يتصور اننا سنتوقف بالتالى عن التساؤل ،وعن فتح مجالات جديدة، بل ربما فعلنا هذا على نحو أكثر عمقا من ذى قبل »

« الشىء الثانى الذى أريد أن أبلغكم به هو : أن لورد كوبولد ،لورد تشمبرلين (الذى كان من الضرورى الحصول على موافقته على أى عرض مسرحى فى انجلترا قبل عرضه فى ذلك الوقت) قد اتصل تليفونيا بجورج فارمر ـ رئيس مجلس ادارة الرويال شكسبير كمبانى

بشان US . اتصل به أثناء عطلته التى كان يقضيها فى صيد الاسماك باسكوتلندا وقال له رأيه فى العرض ، قال له : انه يعتقد أنه عرض « وحشى وفظ ومعاد للامريكيين وشيوعى » ، وانه سيكون شاكرا اذا استطاع جورج فارمر أن يمارس نفوذه من أجل منعه ،

لانه لن يستطيع أن يسمح بهذا العرض . وسيطير جورج فارمر عائدا من اسكوتلندا فى الصباح ، وعلينا أن نقوم باعادة للعرض أمامه ـ هو وبيترهول حتى يعرف أين يقف قبل أن يذهب لمقابلة لورد تشمبرلين

« ولا يجب ان يفوه أحدكم بكلمة عن الامر خارج هذه الحجرة ، فلست فى حاجة لان أقول لكم ان همسة واحدة تتسلل من هذه الحجرة ستملأ المدينة كلها ، ولسنا فى حاجة لهذا بعد ، وسيكون هذا تدريبا حقيقيا لنا : أن تبقى هذه الانباء داخل الجماعة تماما »

ودارت بعد ذلك مناقشة بين اعضاء الفريق ، وتم الاتفاق على أن يقوم ميشيل كوستو وجيريمى بروكس فى الصباح بالحصول على استشارة قانونية فيما يتعلق بامكانيات القيام بعمل ضد ممثل التاج ، والتعقيدات الخاصة بالترخيص للمسرح فى الاولدفيتش ، ستراتفورد ـ ابن ـ افون

كما كان ثمة شعور بأن كل شيء يتوقف على استجابة جورج فارمر للعرض الذى سيراه

الجمعة ٣٠ سبتمبر :

فى دونمار ، بعد الفداء ، بدأت اعادة العرض ، كان التوتر بلغ درجة لا تصـــدق ، والشحنات الكهربية التى انطلقت شـيئا ثابتــــا وراسخا ، كان العرض كله حدثا مسرحيا غير عادى • التقت الدعامتان اللتان تحدثعنهما بيتر بقوة لم تكن محتملة بقرب حجرة البروفات •

كما تم ضغط الزمن ، وهكذا لعبنا فى الفصل الثانى الحوار بين مارك وجليندا بالاغنيات والمشاهد التى تقاطعه •

وكان جورج فارمر على موعد للذهاب الى قصر ســـان جيمس ومناقشة لورد تشمبرلين بعد العرض مباشرة ، وكان لورد كوبولد قد ألح منذ اتصاله التليفونى بجورج فارمر على أنه لا يود أن يرى أيا

من بيتر بروك أو بيتر هول ، وانه سيتعامل فقط مع فارمر من حيث هو رئيس لمجلس الادارة ، لكن فارمر حين استوقف التاكسى صحبه كل من بروك وهول

كان لورد تشمبرلين ينتظرهم فى الطاقم الكامل للابس الدولة ، حتى السيف ، وبعد تسويف قليل ، كان بيتربروك وبيترهول ينتظران أثناءه فى الشارع ، وافق تشمبرلين على لقاء زواره الثلاثة معا ، وأعاد وصفه للعرض بعد أن عدل منه قليلا ليصبح « فظا وحشيا ويساريا»

وأوضح فارمر موقفه تماما ومباشرة فذكر لتشمبـرلين انه قد شهد العرض لتوه وانه راض عنه كعرض متكامل ، لكنه أكد فى الوقت نفسه أنه عرض يحمل وجهة نظر محددة وأن تشمبرلين لا يجب أن يخطىء حول هذه النقطة بالذات . وقال فارمر ــ وهو يحـدث نفسه ــ انه كان راضيا عن الجهد الشخصى المبذول فى العرضوالذى كان يباعد بينه وبين الدعائية السهلة •

عندئذ وجه تشمبرلين السؤال لفارمر عما اذا كان يعتقـــد أن العرض معاد لامريكا ، فأجاب فارمر بالنفى وقال أن العرض يوجه النقد لبريطانيا بنفس القدر الذى يوجهه للولايات المتحدة الامريكية • وضع تشمبرلين السؤال على نحو آخر فقال : افترض ان السفير

الامريكى حضر ليلة العرض الاولى ،هل سيخرج مغضبا قبل نهـــايته

قال جورج فارمر : لا . قالها بطريقة تنتمى تماما لمسرح العبث ان السفير لن يفعل هذا اذا انتظر حتى النهاية . (وكان يعنى تلك الاجزاء من حوار الفصل الثانى التى توازن الغل الذى يتمثل فى بعض أحداث وأغنيات الفصل الاول) .

سأل تشمبرلين فارمر عما اذا كان مستعدا لان يقف الى جوار العرض كرئيس لمجلس ادارة المسرح .

بكل تأكيد اجابه جورج فارمر

قال تشمبرلين : فى هذه الحالة فاننى مستعد لان أصدر تصريحا بعرض المسرحية

تنفس بروك وهول وفارمر الصعداء

لكن تشمبرلين قال : اننى حين أرسل قائمة اعتراضاتى على أجزاء معينة من النص فليكن مفهوما انه لا مناقشة حول هذه الاعتراضات

وانفجر بيتربروك فاتهم تشمبرلين صراحة بأن يحاول أن يعقـد صفقة قوامها : « سأمنح المسرحية تصريحا لكنكم يجب أن تحـذفوا ما أطلب حذفه » ، وأصر على أن يكون ما يعترض عليه تشـــمبرلين شأنه شأن مثيله فى أى نص مسرحى آخـر : أى قابلا للتعـــــديل واحلال البديل .

بعد أن وضع بروك اعتراضه هذا على أقوى نحو استطاعـــــه انسحب الزوار الثلاثة من قصر سان جيمس . وفى الوقت نفسه كانت بحوثنا القانونية قد أوضحت لنا أنه لا يمكن القيام بأى عمل قانونى ضد واحد من موظفى التاج ، وأن تقديم عرض غير مصرح به يعرض جميع من لهم علاقة به — حتى بواب المسرح — لغرامات مالية باهظة .

كذلك كان تقديمه ينطوى على عقوبةمنع التصريح للمسرح بتقديم أية مسرحيات أخرى ، وهذه مغامرة لم نكن على استعداد لتحملها فى الاولدفيتش ، فالرويال شكسبيركمبانى لم تكن هى الفرقةصاحبة التصريح بل هى تستأجر المسرح فقط . أما فى ستراتفورد فكنا نحن أصحاب الترخيص وأصحاب المسرح . ولن أنسى لزمن طويل بيتر هول جالسا غارقا فى تفكيره وقت الغداء قبل أن يرى العرض ،يزن

الامور فيما لو قدمنا عرض US غير المصرح به فى ستراتفورد ــ ابن ــ أفون بدلا من الاولد فيتش ، وارتكبت السلطات حماقة سحب ترخيصنا وحالت بذلك بيننا وبين تقديم موسم شكسبيرفى ستراتفورد .

الاحد ٢ أكتوبر :

بيتر بروك يقول للفريق قبل اعادة العرض على خشبة المسرح.

« ان الازمة مع لورد تشمبرلين هي صورة للحرب نفسها، لدهاليز السلطة ولسلطة الاشاعة . تذكروا أن هذه الازمة لو حدثت فى فيتنام لكان بعضنا الآن موتى ، كذلك أريد منكم أن تضعوا فى أعتباركم أن هذا ليس سوى اختبار مبدئى بسيط لنوع الاستجابة التى سنواجه بها حين نبدأ العرض .

« والعرض الذى قدمتموه يوم الجمعة الماضى كان ممتازا لكنه كان يحمل بداخله فعلا بذور دماره : فكثير منكم كانوا متأثرين بمشهد نورمان موريسون لدرجة الارتجاف ، وهذا شىء لن تستطيعوا أن تحافظوا عليه على هذا النحو . ارفعوا رءوسكم فوق الماء واتجهوا بعيونكم نحو الهدف الماثل أمامكم . »

كان العرض ممتعا لنا لجوانبه التكنيكية قبل كل شىء : فللمرة الاولى رأينا روجر عاريا تخطط الالوان جسده ثم يلف فى الورق ، وللمرة الاولى كذلك رأينا الدمية تهبط من سقف المسرح فأدركنا كيف كانت ثقيلة دون جدوى فقررنا أن نصغرها للحد الادنى .

فرغنا من العمل فى الحادية عشرة من المساء فعدنا جميعا لبيت بروك كى نناقش الفصل الثانى . وكان هذا بداية مناقشات مريرة حول اتجاه الفصل الثانى ، كانت مريرة وحادة بالنسبة لموقف دينيس كانان الحرج (الذى وصل فى منتصف الوقت أثناء فترةالبروفات وذلك لتخلى تشارلس وود) ، وأيضا بالنظر للايقاع المتصاعد دوما فى عملية البروفات الذى كاد الان يصل قمته ، وهذا وقت يصعب فيه التقدير الدقيق للامور حتى لو كان السبب فقط هو ضرورة توضيح أشياء كثيرة فى وقت قصير .

وعلى أى حال فقد كانت ثمة خلافات حادة أحدثت انقساما فى الفريق ، وسأقدم تلخيصا لها لسبب واحد هو عدم التهوين من شأن مثل هذه الخلافات التي تحدث داخل أية جماعة من النـــــاس يتعاونون فى مثل هذا اللون من العمل ·

كانت ثمة ثلاث مناقشات معذبة ، دارت فى بيت بيتر بروك وفى المقهى والبار الملحق بالرويال جاردن هوتيل وفى بار ويمبى قريبا من ميدان لا يستر ، ويبدو أنها جميعا قد بدأت فى منتصف الليـل على الاقل ، وكان لها كل الحق لان تنتهى بالارهاق الكامـل أو حتى بفيض من الدموع فى وقت ما بين الثانية والنصف والرابعة والنصف من الصباح التالى ·

فى ظل هذه الظروف ، كانت الاتجاهات التى تتمسك بها بدايات كل مناقشة تتحلل أمام المحاولة اليائسة لتجميع الافكار كلما مضى الوقت · لكن أندريان ميتشيل وألبرت هنت وسالى جـــاكوب كانوا يشعرون شعوراً قويا بأن شخصية الفتاة التى تلعبها جليندا جاكسون في الفصل الثاني كانت هى « مغزى » المسرحية ، وان النتيجة كانت لاذعة فى مظهرها عاطفية فى حقيقتها . (فتاة تبحث عن اله ، كما قال واحد من الفريق) ، وان شخصية الفتى التى يلعبها مارك جونز لم تكن مقنعةبالدرجةالكافية كى تجيب على هجمات الفتاةالساحقة.

ولم يحاول دينيس كانان الدفاع عن الشـــــخصيات رغم أننى أحسست به فى احدى الجلسات المؤلمة وقد كان يتفتت حين اشتدت به نوبة قاسية من اتهام الذات ، وقد حاول بيتر بروك وجيوفرى ريفز وأنا أن نحصر المناقشة قدر امكاننا داخل الحدود العمليةلما هو ممكن فى الوقت والظروف · لكننا جميعا أحسسنا بأن ثمـــة شيطانا خبيثا مدمراً للذات قد أطل برأســـه وان مواجهته بحاجة لشىء أعمق مما يتيحه لنا الوقت فى هذه اللحظة . اقتطف هـــذا الحوار بين بروك وأحد الممثلين بعد أن بدات المسرحية :

بروك : ان كل جماعة تحوى داخلها بذور دمارها .

الممثل : لماذا يجب أن يكون الامر هكذا ؟

بروك : لا أستطيع أن أجيبك عن هذا السؤال ، أبحث لنفسك صدقه من كذبه .

والتماسا لحلول عملية أعد هنت وميتشيل وكانان عدة خطب لتعقب اندفاعة جليندا فى النهاية : خطبة لفيتنام وأخرى للفتى الانجليزى وثالثة للصحفى الليبرالى الذى يواجه جليندا الحبيسة فى ألمها الشديد . ولعبنا هذه الخطب مرة فى أحد عروضنا قبل الافتتاح لكن الواضح انها أضعفت الخط الدرامى للفصل ، وكان بروك صلبا حاسما فى الرجوع للخط الاصلى ، لكنه استخدم حضور واستجابة وضغط الفريق كله الذى يحيط بهذين المتصارعين كى يجعل للمشهد كله نوعا من الاطار ولا يخلى بين جليندا وأن « تمضى بالعمل وحدها » .

الثلاثاء ٤ أكتوبر :

ظللنا مستمرين فى الاعادة المجهدة والمدققة للعرض كله على الخشبة . ووصلنا نهاية الفصل الثانى ، وبعد نهاية العرض طلب بروك الى الممثلين أن يهبطوا من فوق الخشبة ويجلسوا على الارض ثم يحاولوا التعبير عن اتجاهاتهم نحو الحرب ونحو الاسهام فى هذا العرض بأقصى ما يمكنهم من الايجاز .

وربما كانت هذه هى المرة الثالثة فى الفترة التى استغرقتها البروفات ـ حوالى خمسة عشر أسبوعا ـ والتى يطلب فيها من الممثلين أن يعبروا عن اتجاهاتهم الشخصية ، وكان التقدم مع كل كشف جديد أو محاولة الكشف فى اتجاه الابتعاد التدريجى عن الذلاقة والاقتراب أكثر وأكثر من التركيز والتأكيد .

وفيما يلى تلخيص ما قالته الفرقة ذلك الصباح ، وأعضاؤها يجلسون مركزين تفكيرهم على أرض خشبة الاولد فيتش . مندفعين الى الكلام بعد صمت طويل . وقد لا تبدو هذه البيانات أصيلة أو حادة على نحو مذهل ، لكن الجهد الذى تكبده كل من هذه البيانات، والضغط الذى مارسه كل فرد من أجل أن يربط بين كل شىء فعله خلال فترة البروفات الطويلة وبين نفسه فى هذه اللحظة هو ما يجعل هذا التدريب مؤثرا وهاما :

(١) : عقلى كهف مظلم ، ثمة شىء أحمر ومرعب كامن فيه .

(٢) : انه شىء يستحق العناء أن يسخطنى هذا العرض ويقدم

لى معلومات ، لانه حين تزيد معلوماتى فان الحرب تصبح بالنسبة لى أكثر امتاعا .

(٣) : اشعر بأننى واقع فى أسر حالة من الاختلاط وفقدان الحيلة لاننى أكثر سعادة .

(٤) : اننى مهتم أكثر من أى شىء آخر بالتصعيد المحتمل للحرب وتأثيره على أكثر مما أنا مهتم بالشعب الفيتنامى .

(٥) : (واحدة من الممثلات كانت تبكى بالفعل) .

(٦) : الانسان حيوان ضار متوحش ، وليس بوسع الكلمات البليغة أن تغير من حقيقته شيئا ، وهذا العرض لا يفعل أكثر من حك سطح ما نحن عليه بالفعل .

(٧) : ليس هناك شىء آمن ومختصر أستطيع أن أقوله .

وبعدها حين أبلغ بيتر الفريق بمشهد احتراق الفراشة كنهاية للعرض طلب الى الاعضاء أن يسأل كل منهم نفسه كل مساء : « ما احساسك بالحرب وبالعرض هذا المساء ، فى هذه اللحظة بعد انقضاء أربع وعشرين ساعة ؟ » ، ومما هو جدير بالذكر أن معظم المعلقين وعددا كبيرا من الجمهور تحدثوا عن تلك « النظرة المتهمة »، عند الممثلين فى نهاية العرض فى حين ان كل ما كانوا يفعلونه هو أنهم يتواصلون مع أنفسهم ، هل هى حالة من حالات العين الآثمة التى لا ترى سوى أحكام الادانة فى كل مكان ؟ اما فى ذلك الوقت فقد وجه بروك شكره لاعضاء الفريق على الجهد الذى بذلوه .. الذين لم يتكلموا ،والذين تكلموا على السواء .

الثلاثاء ١١ أكتوبر :

اعادة للفصل الاول ، وبالنظر لاننا بدأنا متأخرين فقد احتفظنا بملابس البروفات بدل ملابس المسرحية ، وحين شاهدنا كل من بيتر بروك وسالى جاكوب من الخارج ، وأحس كلاهما صدق هذه الملابس التى أصبحت لها ألفة خمسة عشر أسبوعا . وهكذا . قبل العرض بثمان وأربعين ساعة أستبعدنا كل الملابس من العرض .

البروفة الاولى الشاملة لاعضاء نادى فرقة الرويال شكسبير كمبانى .

الأربعاء ١٢ أكتوبر :

البروفة الثانية الشاملة امام أعضاء نادى فرقة الرويال شكسبير كمبانى .

الخميس ١٣ أكتوبر :

فى الصباح اختصرنا خمس عشرة دقيقة من الفصل الاول استطاع الممثلون أن يضغطوها بكفاءة ملحوظة . والعرض الاول فى المساء انتابه صمت مشحون نتيجة وجود جمهور معاد .. : كاميرات التليفزيون التى تلتهم كل شىء كانت فى كل مكان : منتشرة على الخشبة من جديد ، تصور الجمهور لحظة كان الممثلون يهبطون بحقائبهم الورقية (البقية الباقية من لعبة تدريب أثناء البروفات أوقفناها بعد عروض أربعة لانها فى ذلك الوقت قد فقدت حتى قيمتها الصادقة كواقعة) . أخترق كينيث تينان صمت الممثلين الاخير بعد اطلاق الفراشة بقوله : « هل تنتظروننا أم نحن ننتظركم ؟ » .

الجمعة ١٤ أكتوبر :

اجتماع الفرقة فى الاولدفيتش ، اليوم السابق على ليلة العرض الاولى .

بيتر بروك للممثلين :

« ان العرض الذى قدمتموه فى المساء الماضى كان هو تماما ما أملت بعد كل عملنا ، بالامس قد غيرنا من الفصل الاول قدرا كبيراً ، وقد فعلنا ذلك بالامس لانه لم تتوفر لنا فرصة لعمله من قبل ، ونحن نختلف عن عرض موسيقى يقدم فى « برودواى » ، لهذا الاعتبار : انهم فى مرحلة معينة « يجمدون عملهم » لانهم حريصون على عدم اثارة مشاكل جديدة وهم بالتالى يستقرون على الحلول التى توصلوا اليها .

لكننا وجدنا أن العرضين الشاملين اللذين قدما أمام جمهور حى أثارا أشياء جديدة لابد من استيعابها .

وقد استطعتم أن توسعوا من خطاكم على نحو جماعى . وذلك حتى تقدموا لجمهوركم بدل ذلك التألق المصقول لليالى العرض الاولى شيئا فى صلابة الصخر ، جديرا بالثقة ، أتذكرون ما قاله جروتوفسكى عن الممثل الذى يقدم نفسه للجمهور ؟ هذا بالضبط ما فعلتموه بعمق فى المساء الماضى ، وكانت جائزتكم هى هذا الصمت الثمين من جانب جمهوركم .

وأنا الآن أريد أن أناقش السؤال الاساسى فى الخطوة التالية .

منذ اليوم الاول لبروفاتنا استطعنا ان ننمى معا أسلوب حياة . والان يجب أن يتغير ، فلن أستطيع أن أراكم وأقضى معكم اليوم بطوله . الآن : على حياة البروفات ان تغذى ليالى العرض .

ان التجربة التى كنا نقوم بها منذ البداية هى : ما هى العلاقة بين المسرح والحياة اليومية ؟ .. قدم جروتوفسكى اجابة : أراد ان يجعل من هذه العلاقة طريقة حياة دائمة ولكل الوقت ، وهو يفعل هذا فى مدينته البولندية الاقليمية الصغيرة ، فى هذه البلاد الشيوعية - الكاثوليكية استطاع ان يجعلها رهبانية ، لكننا نحن هنا فى لندن بكل ما يعنيه هذا من اختلاف . أنا شخصيا لست مستعدا لان أقدم خمس عشرة ساعة من كل يوم من أيامى للسنوات العشر القادمة أعيشها معكم جميعا ، (ضحك) ، لست كذلك مستعدا لان أتخلى عن العالم الخارجى كله ، ما امكانياتنا اذن ؟ ..

لقد طرحت السنوات الماضية امكانيات امام الممثلين الشبان كى يخلقوا اسماءهم بسرعة كبيرة ، وهذا ما يجب أن يكون لكن له جانبا سلبيا ، انهم يستطيعون ان يدفعوا الزمن وبعد سنتين أو ثلاث سنوات سيظلون يفعلون نفس ما فعلوه من قبل ، وما بدأ فى الاول مثيرا وأصيلا سيؤوب الى جمود ، ويظل الممثل على مكانه أو يهبط عنه ، حفنة من الممثلين فقط هم الذين يمتلكون تلك الحرية الالهية والقدرة الدائمة على الانفتاح والمساءلة ، تلك هى الحياة التى تجسد ذاتها على نحو ما ترون عند بول سكوفيلد مثلا .

والآن .. فان تقديم هذا العرض ليلة بعد أخرى على خشبة المسرح لابد يضع السؤال نفسه امام الجميع : انه سؤال يتعلق بالاحتراق الداخلى . كل منكم يستطيع أن يخدع أولا يخدع ، ولا أحد يستطيع

أن يقول عن الواحد منكم ما اذا كان حضوره كاملا أو غيابه مطلقا على الخشبة • ولكن اذا بدأ أحدكم في الانغلاق وتبعه الاخر فالنتيجة النهائية ستكون الضياع الكامل لقيمة عمل الجماعة ، وبذور الدمار موجودة دائما •

ممثل : لماذا ؟ ••

بروك : لان المسألة كلها عبارة عن عملية ، وبوسع أى عملية أن تسير فى اتجاهين : الاتجاه وعكسه • والتمثيـــل يعتمد دائما على استحضار شيء ما طول الوقت ، والا انقلب على نفسه وتعثر • ولبس بوسع النوايا الطيبة أن تجعله متجددا •• الطريقة الوحيـــدة هى استحضار شيء ما طول الوقت ، والا انقلب على نفسه وتعثر • وليس كنتم مهتمين الاهتمام الكافى بأن تمضوا مع التجربة الى مدى أبعد ، وفى هذه الحالة عليكم أن تتفتحوا من جديد على العلاقة القائمة بين عملكم على الخشبة وحياتكم اليومية ، ومحاولة الاستحضار والاخراج دائما •

هل استطعنا أن نصل لحل وسط مع ما تعلمناه من جروتوفسكى ؟ أن نمثل على مسرح كبير وبالاسلوب الذى توصلنا اليه ؟ أعتقد أن الاجابة بالنفى •• الا لو ظللنا نتابع النمو ، ان عمله عميق لـكنه ضيق ، أما عملنا هنا فى لندن فهو أكثر تعلقا بالجزئيات لـكنه أكثر ثراء • وأنا لا أقدم اليكم سوى تكتيك ، وقد لا يثير اهتمامكم ، لكنه ان فعل فيبدو لى أن هذه هى الطريقة الوحيدة للاستمرار • يبدو شيئا مثيرا للأسى أن أعتمد على علاقة عارضة وأربط بينها وبين ما تؤدون •

كيف تستـطيعون أن تستمروا فى الحياة ؟ •• هناك أســطورة متعلقة بالمسرح لا مهرب منها تقول بأن الليلة الثـــانية من العرض ــ وهى هذه الليلة ــ تعتبر دائما خطوة دون الليلة الاولى • ولكن : هل يجب أن يكون الامر على هذا النحو ؟ •• بالتأكيد ان التمنى وحده لن يغير شيئا ، أتذكرون تلك الملاحظات النقدية التى كانت لنا على نهاية المسرحية ؟ •• ونحن نبحث عن شيء يعيد التوازن فى النهاية كان هذا يعنى ضمنا سخطنا على عدم وجود حل وفشلنا فى أن نغير العالم ، وتصورنا أننا سقطنا قبل الوصول لشيء ايجابى ،

لكن هذا الشيء كان موجودا دائما وطول الوقت • أنه فى الحيـاة ، فى درجة الاحتراق التى تستطيعون أن تضعوها فى العـــرض كل مساء ، فالناس ، كل الناس ، الذين يغادرون مسرحنا فى النهاية لم يسحقوا ، وأنتم كلكم ، الجالسون حول جليندا لم تنســحقوا تحت وطأة التجربة التى مررتم بها ، وهذه نقطة النهاية : أن تجلسوا هناك جماعيا وأنتم على الاتجـــاه المعاكس لعدم الاهتمام• هذه الكيفية هى ما تجعل لهجوم جليندا الساحق مكانه فى منظور العمل •

والليلة •• نحن سنقوم بتجربة حقيقية كبيرة : سنترك كل شيء من العرض فى مكانه دون تغيير • »

ضحك ••

تمت





هــذه الروايــة

هذا العمل الفنى هو نموذج لما يمكن أن يقدمه المسرح اليوم حين يتناول قضايا الواقع الملحة . فالموضوع الرئيسى فيها هو الحرب فى فيتنام .. أو هو على التحديد موقف المواطن الاوروبى الشريف من الحرب الظالمة التى تشنها الولايات المتحدة هناك . من هنا جاء عنوانها يحمل اشارة الى المعنيين معا : نحن ـ والولايات المتحدة «US»

وبيتر بروك ((٤٦ سنة)) واحد من أخطر فنانى المسرح فى عالم اليوم . قدم اخراجا جديدا لاعمال عديدة من أعمال المسرح الاغريقى ومسرح شيكسبير والمسرح المعاصر مثل : أوديب والملك لير ومادا / صاد .. ثم قدم هذا العرض الذى أثار عاصفة فى انجلترا والقارة الاوروبية حين تم عرضه لاول مرة على خشبة مسرح الاولدفيك فى شتاء عام ١٩٦٦ . وكان السؤال الذى طرحه بروك على أعضاء الفرقة المسرحية هو : كيف يمكن لمواطن أن يحمل رعب الحرب فى فيتنام ويعيش حياته العادية المألوفة فى الوقت نفسه؟. والمسرحية كلها اجابة درامية عن هذا السؤال ، اجابة تستفيد من كل التجارب المسرحية الجديدة فى العالم لكنها تقدم رؤية خاصة لما يمكن أن نسميه ((مسرح المواجهة)) .

ان مسرحية ((نحن ـ والولايات المتحدة)) تجربة جديدة ومثيرة ، وسوف يكون لترجمتها الى اللغة العربية أثر كبير وردود فعل واسعة .

١٠ قــروش

